إحكام

الحقيقة الغائبة

بين السنة والشيعة

ردّاً على:
عجالة "أمين جعفر"

كتبه/

أبو داود عبدالرحمن الحسامي

إن كـــان رفضـــاً حــــبُّ آلِ محمــــدِ   فليشـــــهدِ الـــــثقلان أني رافـــــضي

الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن صحابته الراشدين وبعد:

فبحمد الله وفضله ومنّه وكرمه لقي كتاب "الحقيقة الغائبة" في طبعته الأولى قبولاً واسعاً، عند المنصفين، وتبصرّت حركة أنصار المهدي بحقيقة منهجهم القويم، وأنهم على الصراط المستقيم.

وفي المقابل فقد أثار الكتاب خصوم الحركة فكانت ردة فعلهم كردة فعل خصوم آل البيت.

لعناً وسبّاً على المنابر، ولا عجب فمن نهج نهج آل البيت لقي ما لقي آل البيت.

ومن دافع عن خصوم آل البيت، تطبع بطباع خصوم آل البيت!!

فحركة أنصار الإمام المهدي امتداد لمدرسة آل البيت.

وخصومنا امتداد لمدرسة معاوية ويزيد وغيرهما من خصوم آل البيت.

ثم أوحى إليهم الشيطان شبهاً من زخرف القول: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾.

فكانت فرصة ثمينة لإحكام المنهج، وتبيين رسوخه وشموخه، فجاءت الطبعة الثانية للكتاب قاطعة لكل شبهة، مبددة كل ظلمة.

وبعض حججنا عدلنا فيها إلى حجج أكثر وضوحاً من باب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ المُلكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

(وَقَدْ عَدَلَ إِبْرَاهِيمُ عَنِ الاعْتِرَاضِ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الإِحْيَاءِ المُحْتَجِّ بِهِ وَلَا مِنَ الإِمَاتَةِ المُحْتَجِّ بِهَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ لِمَا عَلِمَ مِنْ مُكَابَرَةِ خَصْمِهِ، وَانْتَقَلَ إِلَى مَا لَا يَسْتَطِيعُ الخَصْمُ انْتِحَالَهُ، وَلِذَلِكَ بُهِتَ، أَيْ عَجَزَ لم يَجِدْ مُعَارَضَةً)اهـ، التحرير والتنوير (33/3).

هذا وكنا في الرد مترفعين عن السقوط الأخلاقي الذي سقطوا فيه، ولا عجب فهذا ما نتعلمه من مدرسة آل البيت عليهم السلام، "وكل إناء بالذي فيه ينضح".

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن صحابته الراشدين وبعد:

المقدمة

للبيئة دور كبير في تشكيل العقائد والأفكار، شعر صاحبها أو لم يشعر.
فالمجتمع يصبغ الفرد بصبغته الفكرية والمنهجية، والفرد في المجتمع كالماء يتلون بلون الإناء الذي هو فيه.
ولا أدلّ على ذلك مما رواه الإمام مسلم عن أبي قبيصة رضي الله عنه وكان يسوق الهَدْيَ -الإبل والبقر والغنم- إلى الحرم فربما عطب ومرض عليه شيءٌ منها في الطريق فخشي عليه الهلاك والتلف، فسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مدى إباحة لحوم الهدي - والحالة هذه من مرضها وعطبها - قبل أن يبلغ الهدي محله، ومحلها كما قال تعالى: ﴿ثم مَحِلُّهَا إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ﴾ فأخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإباحة ذبح الهدي في الطريق قبل أن يبلغ إلى محله إذا خشي عليه الهلاك والتلف.
ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينسى الطبيعة البشرية فهي قد تقدّر -بغلبة التشوف إلى أكل اللحم- أن الهَدْيَ قد شارف على الهلاك وأنه لا يُتدارك إلا بالذبح، ويكون الأمر دون ذلك، ولم يصل إلى مرحلة إن لم يُتدارك بالذبح مات حتف أنفه.
فبعد أن أباح صلى الله عليه وآله وسلم للصحابي أن يتدارك الهدي بالذبح قال صلى الله عليه وآله وسلم مستدركاً: «لكن لا تَطعمها أنت ولا أحدٌ من رفقتك».
فلم يكتف بتحريمها عليه حتى حرّمها على رفقته الذين يصطحبونه إلى أداء فريضة الحج.
لأن لهم تأثيراً على الفرد في اتخاذ القرار.
<u>فالمجتمع له تأثيره على الفرد شعر أو لم يشعر.</u>
<u>وإن كانوا في طريقهم إلى طاعة كالحج أو غيرها؟!</u> اقرأ العبارة مرة أخرى.
«لكن لا تطعمها أنت ولا أحد من رفقتك» إنما تعطيها لقوافل حجيج أخرى.

لذا فلا عجب أن من عاش في بيئة صوفية أن يتعصب للتصوف.
ولا عجب أن من عاش في بيئة اعتزالية أن يتعصب لآرائهم.
ومن عاش في بيئة سلفية أن يتعصب للسلفية.. وهكذا.

فكل طائفة ترى أنها على الحق وتمنع أفرادها من النظر في كتب المخالفين لها، بحجة أن القلوب ضعيفة والشبه خطافة.
وهذا هو التقليد الأعمى الذي حرّمه القرآن قبل أن يحرّم الخمر.
ولذا قال الشوكاني ناصحاً بدراسة كتب المعتقد لجميع الطوائف: (ثم ينبغي له بعد إتقان فن أصول الفقه وإن لم يكن قد فرغ من سماع مطولاته أن يشتغل بفن الكلام المسمى بأصول الدين.
ويأخذ من مؤلفات الأشعرية بنصيب.
ومن مؤلفات المعتزلة بنصيب.
ومن المؤلفات الماتريدية بنصيب.
ومن مؤلفات المتوسطين بين هذه الفرق كالزيدية بنصيب.
فإنه إذا فعل كل هذا عرف الاعتقادات كما ينبغي، وأنصف كل فرقة بالترجيح أو التجريح على بصيرة.
وقابل كل قول بالقبول أو الرد على حقيقة...
وإياك أن يثنيك عن الاشتغال بهذا الفن ما تسمعه من كلمات بعض أهل العلم في التنفير عنه والتزهيد فيه والتقليل لفائدته.
فإنك إن عملت على ذلك وقبلت ما يقال في الفن قبل معرفته كنت مقلداً فيما لا يُدرى ما هو، والكون في الطبقة الأولية.
بل اعرفه حق معرفته، وأنت بعد ذلك مفوض فيما تقوله من مدح أو قدح.
فإنه لا يقال لك حينئذ أنت تمدح ما لا تعرفه أو تقدح فيما لا تدري ما هو.
على أنه يتعلق بذلك فائدة وزيادة بصيرة في علوم أخرى)اهـ، من أدب الطلب (111/1).

ومن المصائب أن يطلع طالب العلم على أقوال من تأثر بالبيئة الأموية وقدحهم في الإمام علي وآل البيت، ثم يحاكم الناس على ذلك المعتقد!
كما فعل أمين جعفر ومن على شاكلته.
فالبيئة الأموية لها تأثيرها، والناس على دين ملوكهم.
وقد زالت دولة بني أمية سنة 132هـ ومع ذلك بقيت آثار النصب فيها؛ إلى يومنا هذا.
فالإمام النسائي (خَرَجَ مِنْ مِصْرَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ إِلَى دِمَشْقَ فَسُئِلَ بِهَا عَنْ مُعَاوِيَةَ، وَمَا جَاءَ فِي فَضَائِلِهِ.
فَقَالَ: لاَ يَرْضَى رَأْساً بِرَأْسٍ حَتَّى يُفَضَّلَ؟

قَالَ: فَمَا زَالُوا يَدْفَعُوْنَ فِي حِضْنَيْهِ حَتَّى أُخْرِجَ مِنَ المَسْجَدِ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى الرَّمْلَةِ فَتُوُفِّيَ بِهَا.
قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: خَرَجَ حَاجّاً فَامتُحِنَ بِدِمَشْقَ، وَأَدْرَكَ الشَّهَادَةَ... وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِ مائَةٍ)اهـ، سير أعلام النبلاء (132/14).
وكان استشهاد الإمام النسائي سنة 303هـ، أي بعد زوال دولة بني أمية بأكثر من 170 سنة.
بل كانت الدولة العباسية فقدت كثيراً من وهجها وقوتها، ومع ذلك بقيت معتقدات دولة بني أمية كما هي، فآثار قتلى صفين أورثت في القلوب ضغائن وعداوات، أذكاها لعن الإمام علي على المنابر، ولم تمحها السنون.

وقـد ينبتُ المـرْعَى عـلى دِمَـنِ الـثَّرَى   وتــبقى حــزَازَات النفــوسِ كمــا هيــا

وبقي نصب بني أمية إلى يومنا هذا؛ فعن قريبٍ يخرج السفياني.
وتذكره الروايات بعنوان السفياني، وأنه يخرج من المكان الذي خرج منه معاوية بن أبي سفيان لقتال الإمام علي، ومن الموضع الذي سبّ فيه الإمام علي على المنابر.

المهم..
أن من أراد العقيدة الصحيحة فلا يكتف بأخذها ممن تأثر بتلك البيئة؛ لأنه:
1- سيجد ابن تيمية يفضل عهد مُلك يزيد على عهد خلافة الإمام علي عليه السلام.
مع أن ابن تيمية يفضل علياً، لكن عهد يزيد - عنده - أفضل من عهد علي!!!
2- وسيجد ابن تيمية لا يؤثم معاوية في تسميم الإمام الحسن بن علي، إن سممه.
3- وسيجد ابن تيمية في مواضع لا يرى معاوية من الفئة الباغية التي قتلت عماراً.
4- وسيجد أيضاً أن ابن كثير يرى أن خداع عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري كان لمصلحة الإسلام والمسلمين!
5- وسيجد الذهبي وابن حجر يتكتمان على لعن رسول الله للحكم بن العاصي عم عثمان بن عفان حتى صرخ الألباني قائلاً: (وإني لأعجب أشدّ العجب من تواطؤ بعض الحفاظ المترجمين لـ (الحكم) على عدم سوق بعض هذه الأحاديث وبيان صحتها في ترجمته، أهي رهبة الصحبة، وكونه عمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه؟!).
وابن تيمية الحراني وابن كثير الدمشقي وابن حجر العسقلاني والذهبي الدمشقي والنووي وغيرهم؛ على فضلهم ومكانتهم إلا أن لبيئتهم تأثيراً في تشكيل قناعاتهم

وأفكارهم فصدرت منهم تلك الآراء، مصبوغة بالثقافة السائدة. ولذا سترى التناقضات في كلامهم.
6- وسيجد النووي الدمشقي يتأول أمر معاوية لسعد بن أبي وقاص بأن يسبّ أبا تراب، بتأويل متعسف متكلف، مع أن ابن تيمية لم يجد بُدّاً من إثبات أمر معاوية لسعد بسبّ الإمام علي لشدّة وضوحه وصراحته.
7- وسيجد ابن العربي يجيز ليزيد قتل الإمام الحسين ويقول: (قُتل بشرع جده).
8- وسيجد ابن تيمية ينفي صحة حديث، ثم تجد ابن كثير والذهبي لا يجدان بُدّاً من القول بتواتر ذلك الحديث.

لذا فأحياناً تجد التدقيق والتحقيق في البحث العلمي، وأحياناً تجد التأثر ببيئة النصب حاضراً في تقرير المسائل، -كما سيأتي إن شاء الله-.

وهذا الاضطراب يقلّ إلى أدنى مستوياته عند من أثنى عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفقه والإيمان والحكمة.
فالإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفقه يمان، كما جاءت به الأحاديث والروايات.
فالتأثر بالبيئة اليمانية تأثرٌ إيجابيٌ وليس سلبياً.
ومن قال إن الفقه يوجد في اليمن وفي غيرها؛ فهذا تفريغٌ للنص من مضمونه.
فإذا قيل إن الفقه عراقي والحكمة عراقية..
والفقه شامي والحكمة شامية..
والفقه مصري والحكمة مصرية..
والفقه نجدي والحكمة نجدية..
إذن .. لم يعد الحديث فيه منقبة لأهل اليمن.
ولم تعد الحكمة يمانية ولا الفقه يمانياً.
وأي فضيلة لأهل اليمن، فالفقه والحكمة في اليمن، وفي غير اليمن.
وهذا أسلوب من أساليب تحريف الكلِم عن مواضعه.
لذا فالذين لا يرون أن الديار اليمنية لا تفضل غيرها من الديار في الحكمة والفقه والإيمان؛ إنما يلوون عنق النص النبوي، ويفرغونه من محتواه!!!

فإن قيل قد وجد فقهاء وحكماء في غير أهل اليمن، ولا يمكن إنكار ذلك؛ فالإجابة: أن بيئة اليمن ليست كغيرها، فهي بيئة أصيلة في فقهها، وأصيلة في حكمتها، وأصيلة في إيمانها، بخلاف غيرها.

مثال للتوضيح:
ثمرة الزيتون شامية أصالة، ولما أخذت شجرة الزيتون، وزرعت في أماكن أخرى لم تخرج بنفس طعم ثمرة الزيتون الشامية ولا بنفس جودتها.
ولذا قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: 20]
مع أنها تخرج من طور سيناء وتخرج من غير طور سيناء.
لكن الأصالة فيها حيث تنبت وتخرج من طور سيناء.
وإلا لـما كان هناك فائدة في تخصيص ذكر خروج الشجرة من طور سيناء.
وبموجب الآية؛ قال الزمخشري والنسفي وابن الجزي وغيرهم في تفاسيرهم: (وأجود الزيتون؛ زيتون الشام)اهـ، تفسير الزمخشري (241/3)، تفسير النسفي (506/2)، تفسير ابن جزي (71/2).
وكذا في كتب شروح الحديث: (الزيتون، .... وأجوده ما ينبت في أرض الشام التي سماها اللَّه تعالى الأرض المباركة والبقعة المباركة)اهـ، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (266/7).

فكذا أصالة الفقه والحكمة والإيمان في أهل اليمن ليس كغيرهم.
ولكن الناس لا يكثرون العناية بفقهاء أهل اليمن.
قال الشوكاني: (وَلَا ريب أن عُلَمَاء الطوائف لَا يكثرون العِنَايَة بِأَهْل هَذِه الديار لاعتقادهم فِي الزيدية مَا لا مُقْتَضىً لَهُ إلا مُجَرّد التَّقْلِيد لمن لم يطلع على الْأَحْوَال، فَإِن فِي ديار الزيدية من أَئِمَّة الكتاب وَالسّنة عدداً يُجَاوز الوَصْف، يتقيدون بِالعَمَلِ بنصوص الأَدِلَّة ويعتمدون على مَا صَحَّ فِي الأُمَّهَات الحديثية وَمَا يلتَحق بهَا من دواوين الإِسْلَام المُشْتَملَة على سنة سيد الأَنَام، وَلَا يرفعون إِلَى التَّقْلِيد رَأْساً، لَا يشوبون دينهم بشيءٍ من البدع الَّتِي لَا يَخْلُو أهل مَذْهَب من المذَاهب من شَيْءٍ مِنْهَا)اهـ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (83/2).
فقوله (أَئِمَّة الكتاب وَالسّنة... يتقيدون بِالعَمَلِ بنصوص الأَدِلَّة ويعتمدون على مَا صَحَّ فِي الأُمَّهَات الحديثية وَمَا يلتَحق بهَا من دواوين الإِسْلَام المُشْتَملَة على سنة سيد الأَنَام).
إذن .. يتقيدون على الأمهات الحديثية؛ الصحيحين والسنن وما يلتحق بهم.
ويمدح الشوكاني المذهب الزيدي (عقدياً) فيقول:
(أن يشتغل بفن الكلام المسمى بأصول الدين.

ويأخذ من مؤلفات...
ومن مؤلفات المتوسطين بين هذه الفرق كالزيدية بنصيب.
فإنه إذا فعل كل هذا عرف الاعتقادات كما ينبغي، وأنصف كل فرقة بالترجيح أو التجريح على بصيرة). أدب الطلب (111/1).
إذن .. فحديث الشوكاني عن (فن الكلام المسمى بأصول الدين) وليس عن الفروع، والعلامة الشوكاني يرى أن عقائد الزيدية متوسطة بين الفرق.
وقوله رحمه الله: (فَإِن فِي ديار الزيدية من أَئِمَّة الكتاب وَالسّنة) دليل واضح على أن الديار ديار زيدية في الأعم الأغلب وإن نازعها الرافضة.
قال الشوكاني: (فَإِن النَّاس هم فِي هَذِه الديار زيدية وَكثير مِنْهُم يُجَاوز ذَلِك فيصيروا رَافِضِيّاً جلداً)اهـ، أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص: 100).
فتنازع الزيدية مع الرافضة ليس جديداً، لكن ما هو خط المتوسطين من الزيدية في نظر الإمام الشوكاني؟!
وما هي الحقيقة الغائبة التي عليها أئمة الزيدية الذين (يتقيدون بِالعَمَلِ بنصوص الأَدِلَّة ويعتمدون على مَا صَحَّ فِي الأُمَّهَات الحديثية)؟!

الحقيقة الغائبة
أولاً: من أئمة الزيدية مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن الوزير قال عنه الشوكاني:
(الإِمَام الكَبِير المُجْتَهد المُطلق المَعْرُوف بِابْن الوَزِير ولد فِي شهر رَجَب سنة 775هـ. يزاحم أَئِمَّة المذَاهب الأَرْبَعَة فَمن بعدهمْ من الأَئِمَّة المُجْتَهدين فِي اجتهاداتهم، ويضايق أَئِمَّة الأشعرية والمعتزلة فِي مقالاتهم، وَيتَكَلَّم فِي الحَدِيث بِكَلَام أئمته المعتبرين. وَكَلَامه لَا يشبه كَلَام أهل عصره ولَا كَلَام من بعده بل هُوَ من نمط كَلَام ابْن حزم وَابْن تَيْمِية)اهـ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (81/2).
إذن .. ابن الوزير (يزاحم أَئِمَّة المذَاهب الأَرْبَعَة).
(ويضايق أَئِمَّة الأشعرية والمعتزلة فِي مقالاتهم).
و(هُوَ من نمط كَلَام ابْن حزم وَابْن تَيْمِية).
فماذا يقول ابن الوزير؟!
قال الإمام ابن الوزير: (وقد أجمع أئمة العترة عليهم السلامُ وشيعتُهم على أنه لا يجوز خُلُوُّ عصرٍ من الأعصارِ إلى يومِ القيامة من عالمٍ مجتهدٍ مِن أهل البيت عليهم السَّلامُ)اهـ، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (120/2).
نعم..
أجمعوا ألا يجوز أن يخلو عصر من الأعصار إلى يوم القيامة من عالم مجتهد.

ولا بد أن يكون هذا العالم من أهل البيت عليهم السلام.
فالتعويل في مرجعية الأمة في كل زمان على ذلك العالم المجتهد من العترة.
وليس التعويل أن تجتمع العترة في كل زمان.
وإنما التعويل على عالم مجتهد من العترة.
فهذا ما أجمعت عليه العترة في الأزمنة المتقدمة.
لتعذر إجماع العترة في العصور المتأخرة، قال ابن الوزير رحمه الله:
(ويُؤيِّدُ ما اختاره الإماماِن المنصور بالله، والمؤيَّد بالله يحيى بن حمزة عليهما السلام من تَعَذُّرِ العلم بالإجماع في الأعصار الأخيرة سواءٌ كان إجماع الأمة أو العترة)اه، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (196/4).
وما دام أن ابن الوزير يرى تعذر إجماعهم في العصور المتأخرة، إذن .. ما نقله من إجماع العترة كان من إجماع العترة المتقدمين.
فهل إجماع من تقدّم من العترة حجة أم لا؟!
قال ابن تيمية: (وَقَدْ تَنَازَعَ العُلَمَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِم فِي إجْمَاعِ الخُلَفَاءِ وَفِي إجْمَاعِ العترة هَل هُوَ حُجَّةٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهَا؟، وَالصَّحِيحُ أَنَّ كِلَيْهِمَا حُجَّةٌ.
وَكَذَلِكَ إجْمَاعُ أَهْلِ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي زَمَنِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ هُوَ بِهَذِهِ المَنْزِلَةِ)اه، مجموع الفتاوى (493/28).

وما دام أنهم أجمعوا (على أنه لا يجوز خُلُوُّ عصرٍ من الأعصارِ إلى يومِ القيامة من عالمٍ مجتهدٍ مِن أهل البيت عليهم السَّلامُ).
فمعلومٌ أن الإجماع لا بد أن يعتمد على دليل!!
فما حجة إجماع العترة على اشتراط كون العالم المجتهد في كل عصر من آل البيت؟!!
فمن حجتهم حديث: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، الثَّقَلَيْنِ، وَأَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا، حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ» أخرجه الإمام أحمد (11561).

قلنا: فهذه حقيقة غائبة اليوم، كان عليها إجماع بالأمس!!
والحقيقة الغائبة التي نقدّمها؛ عليها إجماع العترة الطاهرة عليهم السلام، وليس اجتهاد حركة أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
فالاثنا عشرية؛ بغيبة الإمام الثاني عشر، توقف كثير من أعمالهم، كما أنهم انحرفوا عن رأي الإمام علي في الشيخين، وهو جزء من الحقيقة الغائبة، -كما سيأتي-.

وأما أهل السنة فعمدتهم وتعويلهم على غير علماء العترة، خاصة العلماء الذين تأثروا بالبئية الأموية..

وأما الزيدية فلتأثرهم بالاثني عشرية في قضايا عدة، انطمست ملامح مذهبهم عن الساحة العلمية.

فجاءت الحقيقة الغائبة...

وطبعاً ضرورة وجود عالم من العترة الطاهرة بلغ درجة الاجتهاد، لا يعني بحال أن يأتي كل عالم ليجتهد في مبطلات الصلاة ونواقض الوضوء، وينقض اجتهاد العالم الذي قبله!!

ثم يأتي عالم مجتهد ليجتهد في مبطلات الصلاة ونواقض الوضوء، وهكذا!!

أبداً!!

فقد اجتهد فيه الأولون وانتهى الأمر!!

لكن دورهم فيما يستجد من قضايا الأمة الكبرى والخطوط العريضة للدين.

توضيح:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ» أخرجه أحمد برقم (21763)، وأبو داود برقم (3641)، والترمذي برقم (2682)، وصححه جمع من الأئمة.

فإذا كان العلماء هم ورثة الأنبياء؛ فدور العلماء هو بعينه دور الأنبياء.

وإجماع العترة خصص أن الحجة بوجود عالم من العترة.

فإذا عُرف دور الأنبياء؛ عُرف دور العلماء.

ودور الأنبياء التربية والتزكية والبلاغ والدعوة إلى غير ذلك.

ومن مهامهم أيضاً؛ ما قال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا بيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم الذي جعل الله لهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» أخرجه البخاري برقم (3268)، ومسلم برقم (1842).

إذن .. دور الأنبياء أن يسوسوا الناس، فدور العلماء أن يسوسوا الناس.

لكن الحديث يخبر أن الخلفاء هم الذين يسوسون أمر الناس في هذه الأمة.

فما هو دور العلماء في هذه الحالة؟!! هل ينزون في المساجد، ويشعلون معارك وهمية في تصحيح الأحاديث وتضعيفها؟!!

طبعاً .. لا!
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء» ومن سياسة الأنبياء إذا لم يكن هم الملوك، أن يختاروا هم الملوك.
قال تعالى: ﴿وَإِذ قالَ موسى لِقَومِهِ يا قَومِ اذكُروا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم إِذ جَعَلَ فيكُم أَنبِياءَ وَجَعَلَكُم مُلوكاً﴾ [المائدة: 20].
وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً﴾ [البقرة: 246].
(تسوسهم الأَنْبِيَاء من السياسة وَهِي الرياسة والتأديب على الرّعية وَلَا يُنَاقض هَذَا بِقصَّة طالوت فَإِنَّهُ كَانَ ملكاً لَا نَبياً، ونبيهم كَانَ الشمويل عَلَيْهِ السَّلَام لِأَن المُلُوك كَانُوا تباعاً لأنبيائهم فَلَمَّا أمروا بِهِ أطاعوهم فَكَانَت السياسة حَقِيقَةً للنَّبِي وَالملك كَانَ نَائِباً مِنْهُ)اهـ، شرح سنن ابن ماجه لمحمد عبدالغني المجددي الحنفي (ت 1296 هـ) (ص: 206).

وعلماء العترة في هذه الأمة يأخذون دور أنبياء بني إسرائيل، فإذا لم يكونوا الخلفاء فهم الذين يختارون الخلفاء، ويكونون مرجعية للأمة في تعيين الخلفاء أو عزلهم.

مسألة:
فإن قيل إن علماء آل البيت توزعوا في الطوائف فأيهم نتبع؟
فالإجابة من أوجه:
فالوجه الأول: نحن في صدد تقرير قضية مرجعية العلماء من آل البيت، ولسنا في بيان تفصيل أسماء.
وإذا كان تقرير قضية الرجوع إلى العلماء لأنهم ورثة الأنبياء، لا يبطله أن العلماء تفرقوا بين الفرق على السنة والشيعة والصوفية والأشاعرة والماتردية وعلى جميع الطوائف.
فكذا تقرير قضية الرجوع إلى علماء العترة الطاهرة، لا يبطلها تفرقهم بين طوائف الأمة.
الوجه الثاني: قال ابن الوزير رحمه الله: (فمن طالع كتب الانتقاد وأنس بعلم الرجال، علم أن الله تعالى لم يخل العباد والبلاد من حجة لله تعالى من العترة الطاهرة، وأشياعهم نجوم العلم الزاهرة، وسائر العلماء الأعلام في جميع مملكة الإسلام) العواصم (37/1).

الوجه الثالث: ما فائدة معرفة الإمام عند خصوم حركة أنصار الإمام المهدي وهم لا يقرّون بمبدأ الإمامة ولا يقرون أول الإئمة وهو الإمام علي عليه السلام، فكيف بمن دونه؟!!!

وحتى لما صار الإمام علي خليفة؛ جعلوا لمن خرج عليه أجراً واحداً.

ومن سمم الإمام الحسن إن ثبت أنه معاوية فهو مأجور أجراً واحداً.

وقاتل الإمام الحسين حكمه أفضل من حكم الإمام علي عليه السلام.

فما فائدة معرفة الأئمة لمن لا يقرّ بالإمامة أصلاً؟!!

أول أئمة هذه الأمة

بمقتضى الإجماع الذي نقله الإمام ابن الوزير (لا يجوز خُلُوُّ عصرٍ من الأعصارِ إلى يومِ القيامة من عالمٍ مجتهدٍ مِن أهل البيت عليهم السَّلامُ).
فإن أول أئمة هذه الأمة هو الإمام علي سلام الله عليه.
فإن قيل أليس هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو عالم مجتهد.
قلنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليس من عترة آل البيت وشرط الإجماع أن يكون من العترة.
فلذا لا بد أن يكون أول الأئمة حاضراً في اختيار الخليفة الأول.
ولما لم يكن للإمام الأول اختيار للخليفة الأول فقد أنكر علي على أبي بكر رضي الله عنهما ذلك.

والحديث في صحيح البخاري..
(فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الظُّهْرَ رَقِيَ عَلَى المِنْبَرِ، فَتَشَهَّدَ، وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَهُ عَنِ البَيْعَةِ، وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَحَدَّثَ: أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلاَ إِنْكَاراً لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ، وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا، فَسُرَّ بِذَلِكَ المُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: أَصَبْتَ) أخرجه البخاري برقم (4240).
وقول الإمام علي: (لَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا).
هو أمر الخلافة.
ففي فتح الباري شرح صحيح البخاري:
(وَقَوْلُهُ اسْتَبْدَدْتَ... أَيْ لَمْ تُشَاوِرْنَا وَالمُرَادُ بِالأَمْرِ الخِلَافَةُ.
قَوْلُهُ وَكُنَّا نُرَى... لِأَجْلِ قَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيباً أَيْ لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ...
قَالَ المَازِرِيُّ وَلَعَلَّ عَلِيّاً أَشَارَ إِلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ استبد عَلَيْهِ بِأُمُورٍ عِظَامٍ كَانَ مِثْلُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْضُرَهُ فِيهَا وَيُشَاوِرَهُ أَوْ أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَشِرْهُ فِي عَقْدِ الخِلَافَةِ لَهُ أَوَّلاً.
وَالعُذْرُ لِأَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ خَشِيَ مِنَ التَّأَخُّرِ عَنِ البَيْعَةِ الِاخْتِلَافَ؛ لِمَا كَانَ وَقَعَ مِنَ الأَنْصَارِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ السَّقِيفَةِ فَلَمْ يَنْتَظِرُوهُ)اهـ، فتح الباري لابن حجر (494/7).
وهكذا في جميع شروح البخاري.
انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (259/17).

وهكذا قال القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (376/6).
وهكذا قال في الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (278/7)
فكلهم يفسر قول الإمام علي (لَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً) بأنه أمر الخلافة.
وابن حجر والسطلاني والمازري وشراح البخاري ليسوا روافض.
ولقد جُن جنون أمين جعفر وصبيانه من هذا الحديث.
وحرفوا معنى الحديث وقالوا إنما أراد (الإرث).
ولم ينسبوا هذا القول إلى أحد، ولن ينسبوه إلى أحد، وهيهات.
ولذا فقولهم منهم بدأ وإليهم يعود، وهو مردود عليهم.
المهم أن الإمام علي هكذا يقول وبكل صراحة وفي المسجد وبمحضر من الصحابة (لَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا).
هذا في البخاري وتأكد ذلك في كتب التأريخ.
قال الإمام علي: (أَمَّا بَعْدُ، فإن اللَّه جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، فأنقذ بِهِ من الضلالة، وانتاش بِهِ من الهلكة، وجمع بِهِ من الفرقة، ثُمَّ قبضه اللَّه إِلَيْهِ وَقَدْ أدى مَا عَلَيْهِ، ثُمَّ استخلف الناسُ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستخلف أَبُو بَكْر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأحسنا السيرة، وعدلا فِي الأمة، وَقَدْ وجدنا عليهما أن توليا علينا -ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم- فغفرنا ذَلِكَ لهما)اهـ، تاريخ الطبري (8/5).

قول الإمام علي (لَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً)، والسؤال من أين فهم الإمام علي، واتخذ موقفاً على هذا الفهم؟!
من أين فهمه؟! هل فهمه من حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟!
هل فهمه من حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»؟!
هل فهمه من حديث الثقلين؟!
أم منها ومن أحاديث أخرى وما أكثرها؟!
ولهذا وصفت بيعة أبي بكر بأنها فلتة!
فالخليفة عمر رضي الله عنه -مع أنه أول المبايعين للخليفة أبي بكر رضي الله عنهما- يقول في انعقاد بيعة أبي بكر:
(إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا) أخرجه البخاري برقم (6830).
ومعلوم أن أبا بكر لم ينازعه إلا علي ومن ورائه بنو هاشم وإلا سعد بن عبادة والأنصار.

فأما سعد والأنصار فلم تكن بيعة أبي بكر بالنسبة لهم فلتة، لأن الفلتة إنما تكون بالنسبة لمن لم يحضرها أما من حضرها فكيف تكون فلتة؟!!

قال ابن حجر (فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلتَةً... أَيْ فَجْأَةً وَزْنُهُ وَمَعْنَاهُ... وَإِنَّمَا أَطْلَقُوا عَلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهَا فِي الحَالِ الأَوَّلِ)اهـ، فتح الباري (147/12).

فالأنصار قد حضروها وشهدوها في الحال الأول، وتراجعوا في الحديث، فكيف تكون البيعة بالنسبة لهم فلتة؟!

إنما تكون فلتةً لمن لم يحضرها في الحال الأول؛ كما قال ابن حجر.

ومن لم يحضرها في الحال الأول هو الإمام علي وبنو هاشم، أما الأنصار فلا معنى لكونها فلتة.

(وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ مَعْنَى قَوْلِهِ كَانَتْ فَلتَةً أَنَّهَا وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مَعَ جَمِيعِ مَنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَاوَرَ)اهـ، فتح الباري لابن حجر (150/12).

والذين لم يشاورا ليسوا الأنصار، فالأنصار أعطوا رأيهم ورُدّ عليهم.

وتنازلوا عن رأيهم وبايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة.

أما الذين لم يُشاوروا فهم علي وبنو هاشم.

وكان يُتوقع من ذلك وقوع شرّ، فوقى الله شرها بإجازة الإمام علي، وتبعته بنو هاشم.

ومن الشر الذي دفعه الله أنه:

(لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم قَالَ العباس بن عبدالمطلب لِعَلِيٍّ: (ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ تُبَايِعْكَ النَّاسُ)، فَقَبَضَ الآخَرُ يَدَهُ) الطبقات الكبرى لابن سعد (246/2).

وقوله (فقبض يده) أي لم يبسطها للبيعة؛ إنما قبل بيعة أبي بكر ورضي بها.

ومن الشر الذي دفعه الله أنه:

(جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا الأَمْرِ فِي أَقَلِّ قُرَيْشٍ قِلَّةً وَأَذَلِّهَا ذَلَّةً؟ -يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ- وَاللَّهِ لَئِنْ شِئْتُ لأَمْلأَنَّهَا عَلَيْهِ خَيْلاً وَرِجَالاً، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَطَالَمَا عَادَيْتَ الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ يَا أَبَا سُفْيَانَ، فَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئاً، إِنَّا وَجَدْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهْلاً). أخرجه الحاكم برقم (4462).

(ولولا أنا رأينا أبا بكر لذلك أهلاً ما خليناه وإياها.

يا أبا سفيان إن المؤمنين قومٌ نصحةٌ بعضُهم لبعضٍ، متوادون وإن بعدت ديارهم وأبدانهم.

وإن المنافقين قوم غششة بعضهم لبعض)اهـ، تاريخ دمشق لابن عساكر (465/23).

إنما رجعوا إلى الامام علي لمكانته وفضله فهو عالم العترة، بخلاف العباس وأبي سفيان.
ولما رفض الإمام علي النزول عند رغبتهم لم يسعهم إلا السكوت.

والعباس قامت من ذريته الدولة العباسية.
وأبو سفيان قامت من ذريته الدولة الأموية.
فالأمر كان خطيراً لولا أن الله ألهم الإمام علياً إجازة تلك البيعة.
المهم..
اتضح معنى قول عمر (إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا) أي ببيعة علي لأبي بكر.
وقى شرها في عهد أبي بكر بإجازة علي.
ولكنها لم تزل حاضرة في الفكر والثقافة الإسلامية في الصدر الأول.

(جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ فقال: انزل عن مجلس أبي!
فقال: صدقت، إنه لمجلس أبيك.
قال: ثم أجلسه في حجره وبكى.
فقال علي: والله ما هذا عن أمري، قال: صدقت والله ما اتهمتك.
وقد روي هذا للحسين بن علي مع عمر). مختصر تاريخ دمشق (99/13).

وجاء في حق الإمام الحسين (قام حُسَيْنُ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: انْزِل عَنْ مِنْبَرِ جَدِّي، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَأَخَّرْ يَا ابْنَ أَخِي»، قَالَ: وَأَخَذَ حُسَيْنٌ بِرِدَاءِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمْ يَزَل يَجْبِذُهُ وَيَقُولُ: انْزِل عَنْ مِنْبَرِ جَدِّي، وَتَرَدَّدَ عَلَيْهِ حَتَّى قَطَعَ خُطْبَتَهُ وَنَزَلَ عَنِ المِنْبَرِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَلَمَّا صَلَّى أَرْسَلَ إِلَى حُسَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي مَنْ أَمَرَكَ بِالَّذِي صَنَعْتَ؟» قَالَ حُسَيْنٌ: مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ ذَلِكَ حُسَيْنٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوَ لِي؟» وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، وَحُسَيْنٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ دُونَ المُحْتَلِمِ) تاريخ المدينة لابن شبة (798/3).
ومن البديهي أن الحسن والحسين لم يقولا هذا القول مع صغرهما إلا لأن هذا القول كان حاضراً في بيتهم.

وخاصةً مع قول الإمام علي لأبي بكر سابقاً.
ولهذا كبر هذا المعنى مع الإمام الحسين فلما خرج ضد يزيد..
(بعث الحسين مع مولىً له يقال له سلمان كِتَاباً إِلَى أَشْرَافِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِيهِ: أمَّا بعد فإن الله اصطفى محمَّداً عَلَى خَلقِهِ وَأَكْرَمَهُ بِنُبُوَّتِهِ، وَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ إِلَيْهِ وَقَدْ نَصَحَ لِعِبَادِهِ وَبَلَّغَ مَا أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وورثته وأحق الناس به وبمقامه فِي النَّاسِ، فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ، فَرَضِينَا وَكَرِهْنَا الْفُرْقَةَ، وَأَحْبَبْنَا الْعَافِيَةَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا أَحَقُّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنَا مِمَّنْ تَوَلَّاهُ، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق فرحمهم اللَّهُ وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُمْ)اهـ، البداية والنهاية لابن كثير (170/8)، وكذا في تاريخ الطبري (357/5).

والإمام الحسين جدّ الإمام زيد.
وزين العابدين والد الإمام زيد.
ومحمد الباقر الشقيق الأكبر للإمام زيد.
ولما خرج الإمام زيد على هشام بن عبدالملك، أبان عن منهج آل البيت في الولاية..
قال ابن كثير (عَلِمَتِ الشِّيعَةُ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا عِنْدَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالُوا لَهُ: مَا قَوْلُكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا، مَا سَمِعْتُ أحداً من أهل بيتي تبرأ مِنْهُمَا، وَأَنَا لَا أَقُولُ فِيهِمَا إِلَّا خَيْراً، قَالُوا: فَلِمَ تَطْلُبُ إِذاً بِدَمِ أَهْلِ الْبَيْتِ؟ فَقَالَ: إِنَّا كُنَّا أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَأْثَرُوا عَلَيْنَا بِهِ وَدَفَعُونَا عَنْهُ، وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِهِمْ كُفْراً، قَدْ وَلُوا فَعَدَلُوا، وَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. قَالُوا: فَلِمَ تُقَاتِلُ هَؤُلَاءِ إِذاً؟ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا كَأُولَئِكَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ ظَلَمُوا النَّاسَ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنِّي أَدْعُو إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّة نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم، وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ وَإِمَاتَةِ الْبِدَعِ، فَإِنْ تَسْمَعُوا يَكُنْ خَيْراً لَكُمْ وَلِي، وَإِنْ تَأْبَوْا فَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بوكيل. فرفضوه وَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَنَقَضُوا بَيْعَتَهُ وَتَرَكُوهُ)اهـ، البداية والنهاية (330/9).
وقول الإمام زيد عليه السلام (إِنَّا كُنَّا أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَأْثَرُوا عَلَيْنَا بِهِ وَدَفَعُونَا عَنْهُ)..
هو عين ما قاله جده الإمام علي عليهما السلام (لَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ نَصِيباً، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا)..

اليماني على منهج الإمام زيد

وقد كان اختيار سيدي ومولاي أبي عبدالله التهامي عليه السلام موفقاً في تقرير هذه المسائل.

فقد جاءت الروايات تفيد أن اليماني صاحب كرعة رايته أهدى الرايات، وأنه من ذرية زيد.

قال الصادق عليه السلام (خروج رجلٍ من ولد عمي زيد باليمن) نور الأبصار (172) وبشارة الإسلام (175).

أي على منهج الإمام زيد وليس المقصود أنه من نسله، ولكنه عنى منهجه، ونظرة الزيدية شهيرة في الإمامة.

وهذا نظير حديث «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قوم يقرءون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ... ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

قال ابن كثير: (الخَوَارِجَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا لَمْ يَكُونُوا مِنْ سُلَالَةِ هَذَا، بَل وَلَا أعلم أحداً منهم من نسله وإنما أراد مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَيْ مِنْ شَكْلِهِ وَعَلَى صفته فاللَّه أعلم). البداية والنهاية (299/7).

إذن .. فقوله إن اليماني من ذرية زيد أي على منهجه وفكره وخاصة في قضية موالاة الإمام علي.

والسيد أبو عبدالله التهامي عليه السلام على خطى الإمام علي عليه السلام وذريته الأطهار عليهم السلام.

ولذا فرايته أهدى الرايات لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

وتفصيل سيدي ومولاي أبي عبدالله سلام الله عليه، في المسألة، وجمعه للأدلة هو البيان الأمثل لمنهج آل البيت عليهم السلام، في كتابه الفريد (المهدي من عترتي).

(عن الصادق أنه لما خرج طالب الحق باليمن قال له بعض أصحابه: نرجوا أن يكون هذا هو اليماني، فأجابهم بقوله: لا، اليماني يوالي علياً، وهذا يبرأ منه)اهـ، الأمالي للطوسي برقم (616).

وعليه فإن حديثنا محصور فقط عن مولاة آل البيت.

وأما الحديث عن بقية أصول الزيدية القريبة من المعتزلة، فإبداء رأينا فيها له مجال آخر.

ولا نتسمى بالزيدية ولا بغيرها وإنما باسم الإسلام الذي رضيه الله لنا: ﴿هو سماكم المسلمين﴾.
وبعد هذا، فمن قال إن حركة أنصار الإمام المهدي تأثرت ببيئتها..
قلنا ونعم التأثر بالفقه والحكمة:

وعَـــــيَّرَني الواشـــــون أني أَحِبُّهـــــا وتلـــك شـــكاة ظـــاهر عنـــك عارهـــا

ثم إن التأثر الذي يتأرجح صاحبه بين قول راجح أو مرجوح فهذا لا إشكال فيه ولا غبار عليه.
كأن يكون الشخص في بيئة شافعية فيقلد الشافعية أو يكون في بيئة زيدية فيقلد الزيدية.
فهذا لا إشكال فيه.
لكن أن يشذ بقول ممجوج فإن التأثر هنا يكون سلبياً للغاية، وهو موضع الانتقاد.
كقول ابن كثير إن خداع عمرو بن العاص لأبي موسى كان لمصلحة الإسلام ولعل ابن العاص كان مأجوراً في ذلك الخداع، كما سيأتي إن شاء الله.

فإن قيل أليس قد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

قلنا: رضي الله عن أبي بكر (وَلَيْسَ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ).

وقد حرص رسول الله على إمامة أبي بكر وكان ترشيحاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس تنصيباً.

وترشيح رسول الله ليس كترشيح غيره، فهو أقرب إلى التنصيب، وليس تنصيباً.

وهذا ما قلنا وسقناه في مقالة مطولة بعنوان «مروا أبا بكر فليصل بالناس».

ونكرر كانت إمامة أبي بكر ترشيحاً وليس تنصيباً!!

وبين التنصيب والترشيح مساحة لا بد أن تمتلأ بموافقة الصحابة وعلى رأسهم مرجعيتهم الإمام علي على من رشحه رسول الله.

ولو كان تقديم رسول الله أبا بكر إماماً للصلاة لا يحتاج معها إلى موافقة الصحابة لكان تنصيباً وهذا لم يفهمه أحد من الصحابة، ولذا احتاج أبو بكر لموافقة الأنصار وبني هاشم وغيرهم.

فإن قيل: فكيف خالف الصحابة توجيه رسول الله في مرجعية الإمام علي، ولم ينفذوه على وجه السرعة؟!

قلنا: نعم، علموا وخالفوا، بدليل قول الإمام علي (لَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا).

وعلم علي هذا من أحاديث كثيرة، سيأتي تفصيلها إن شاء الله.

فإن قيل فكيف علم الصحابة وعصوا؟!

قلنا: فكيف عصوا في معركة أحد قال تعالى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾؟!

فهل علموا أن البقاء على الجبل واجب أم لا؟!

وكيف خالفوا ذلك؟!

والأمثلة على ذلك كثيرة، فلا معنى أن يقال: إن الصحابة لو علموا بمرجعية الإمام علي لما خالفوها.

إذن..

فالصحابة خالفوا الأحاديث التي فهم منها علي قوله (لَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً).

وكان الإمام علي وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

سُئل الإمام الشوكاني عن حديث (ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ وَصِيّاً، فَقَالَتْ: "مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ، وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلَى صَدْرِي -أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي- فَدَعَا بِالطَّسْتِ، فَلَقَدْ انْخَنَثَ فِي حَجْرِي، فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ؟!) أخرجه البخاري برقم (2741) ومسلم برقم (1636).

قال الشوكاني: (والواجب علينا الإيمان بأن علياً عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يلزمنا التعرض للتفاصيل الموصى بها فقد ثبت أنه أمره بقتال الناكثين، والقاسطين والمارقين، وعين له علاماتهم، وأودعه جملا من العلوم، وأمره بأمور خاصة كما سلف، فجعل الموصي بها فرداً منها ليس من دأب المنصفين) (الدراية في مسألة الوصاية) ضمن كتابه الفتح الرباني (976/2).

فقوله (ولا يلزمنا التعرض للتفاصيل الموصى بها فقد ثبت أنه أمره بقتال الناكثين، والقاسطين والمارقين) فلماذا لا يلزم التعرض لتفاصيل الموصى بها؟! قال (فقد ثبت أن أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين) وقتالهم جزء من قضاء الدِين -بكسر الدال-.

ولذا في نفس الرسالة ذكر الشوكاني أن الحديث في علي بن أبي طالب «يقضي دِيني» ضبط بكسر الدال أيضاً.

كل ذلك يدل على أنه وراث رسول الله في الإمامة الدينية دون غيره.

ولو سألنا ما هو الشيء الذي بقي من قضاء الدين -بكسر الدال-، وتحرج الشوكاني من تفصيله، لوجدته هو عين ما فصله السيد أبو عبدالله التهامي سلام الله عليه.

أما حمل الوصاية على أنها قضاء الدَّين -بفتح الدال- وإنجاز العدة، ونحو ذلك فقد قال الشوكاني (فجعل الموصي بها فردا منها ليس من دأب المنصفين) كما مرّ نقله.

ثم قال الشوكاني في نفس الرسالة (أعلم أن جماعة من المتعصبين على الشيعة عدوا قولهم أن علياً - عليه السلام - وصي لرسول الله من خرافاتهم، وهذا إفراط وتعنت يأباه الإنصاف، وكيف يكون الأمر كذلك وقد قال بذلك جماعة من الصحابة كما ثبت في الصحيحين أن جماعة علي ذكروا عند عائشة أن علياً وصي، وكما ثبت في غيرهما. واشتهر الخلاف بينهم في المسألة، وسارت به الركبان، ولعلهم تلقنوا قول عائشة في أوائل الطلب، وكبر في صدورهم حتى ظنوه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وسدوا آذانهم عن سماع ما عداه، وجعلوه كالدليل القاطع، وهكذا فليكن الاعتساف والتنكب عن مسالك الإنصاف، وليس هذا بغريب بين أرباب المذاهب، فإن كل طائفة في الغالب لا تقيم لصاحبتها وزناً، ولا تفتح لدليلها، وإن كان في أعلى رتبة الصحة سنداً إلا من عصم الله، وقليل ما هم). الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (977/2).

وفي نيل الأوطار يؤكد الشوكاني هذا المعنى ويحيل على تلك الرسالة فيقول:
(وَالإِنْكَارُ لِوِصَايَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ المَفْهُومُ مِنْ اسْتِفْهَامِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ ثُبُوتِهَا. وَعَدَمِ وُقُوعِهَا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ الخَاصِّ لَا يَدُلُّ عَلَى العَدَمِ المُطْلَقِ وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا الكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي رِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ لَمَّا سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ بَعْضُ العُلَمَاءِ)اه، نيل الأوطار (115/1).
هذا كلام الشوكاني فأما النووي فقال في شرحه الحديث (وَلَا أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ بِخِلَافِ مَا يَزْعُمُهُ الشِّيعَةُ)اه، شرح النووي على مسلم (88/11).

وإنما اختلف النووي عن قول الشوكاني لتأثر كل ببيئته.

فإن قيل: فمن أين فهم الإمام علي أن له من أمر الخلافة شيء؟!!
قلنا الأدلة كثيرة منها ما يلي..

حديث المنزلة

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

قال ابن حجر (وَلِابْنِ سَعْدٍ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ أَرْقَمَ فِي نَحْوِ هَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهُ كَذَلِكَ وَفِي أَوَّلِ حَدِيثِهِمَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لعَلي: «لا بد أَنْ أُقِيمَ أَوْ تُقِيمَ» فَأَقَامَ عَلِيٌّ فَسَمِعَ نَاساً يَقُولُونَ إِنَّمَا خَلَّفَهُ لِشَيْءٍ كَرِهَهُ مِنْهُ فَاتَّبَعَهُ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ الْحَدِيثَ وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ)اهـ، فتح الباري (74/7).
نعم..
«إما أقيم أو تقيم» وإسناده قوي كما قال ابن حجر رحمه الله.
وهي بمعنى الرواية التي تقول «إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك» أخرجها ابن حبان والحاكم وفي سندها مقال، والروايات يفسر بعضها بعضا.

نعم..
خرج رسول الله من المدينة يوم بدر هو وعلي..
وخرج رسول الله من المدينة يوم أحد هو وعلي..

نعم..
لأن الأخطار ما زالت تحدق بالمدينة وما زالت في طور الاستصلاح لتكون عاصمة الخلافة.
ولذا بقيت حكومة الظل في الحبشة ببقاء الأخ الشقيق الأكبر للإمام علي وهو جعفر بن أبي طالب.
وفعلا لم يطل الأمر حتى حوصرت المدينة يوم الخندق.
وبعد أن فشلت قريش في اجتياح المدينة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ حِينَ أَجْلَى الأَحْزَابَ عَنْهُ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ» أخرجه البخاري برقم (4110).
وكترجمة حية لـ «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ» خروج النبي والصحابة وفيهم علي لصلح الحديبية فلم تكن المدينة في خطر، وكذا بموجب تأويل الرؤيا أيضا: ﴿لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: 27].
وفوق ذلك كله كان جعفر لا يزال في الحبشة وقد أُرسل إليه بالإذن بالقدوم للمدينة.
فقدم على فتح خيبر، ثم أرسله إلى مؤتة فاستشهد جعفر هناك.

أما في فتح مكة فكان مع رسول الله عشرة آلاف فكانت المدينة في مأمن من هجمات قريش وغيرهم.
فلذا خرج رسول الله مع الإمام علي.
وبعد فتح مكة ومعركة حنين وحصار الطائف رجع الصحابة إلى المدينة.
ثم وصلت إليهم أنباء عن نية الروم لاجتياح المدينة.
(قال عمر: وَكَانَ مَنْ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَدِ اسْتَقَامَ لَهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَلِكُ غَسَّانَ بِالشَّأْمِ، كُنَّا نَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنَا، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِالأَنْصَارِيِّ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، قُلتُ لَهُ: وَمَا هُوَ، أَجَاءَ الغَسَّانِيُّ؟) أخرجه البخاري (5843).
وفي رواية (وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا، فَقَدِ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا مِنْهُ). برقم (4913).

لذا لما خرج رسول الله إلى تبوك قال لعلي «إما أقيم أو تقيم» «إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك».
لأن المدينة أصبحت دار الخلافة، ولذا فلاحقاً بويع فيها للخلفاء الراشدون الأربعة.

طبعا لم يفهم المنافقون من قوله «إما أقيم أو تقيم» فضيلةً لعلي؛ فقالوا: إنما استثقله.
وإلى الآن. فلو سألت مدرسة أمين جعفر ما معنى قول رسول الله «إما أقيم أو تقيم» هل من فضيلة فيها؟!، فسيقولون: أبداً، لا فضيلة فيها.
ممكن أن يذهب رسول الله ويبقى معاوية أو أي صحابي آخر من الطلقاء، فلا فضيلة في الحديث لعلي.
فإن قيل: فلماذا خصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها عليا دون غيره «إما أقيم أو تقيم»؟!
لماذا لم يقلها رسول الله لأي صحابي أبقاه في المدينة لما خرج إلى بدر أو إلى أحد أو إلى غيرهما؟!
ألا يدلّ ذلك على أنها فضيلة لعلي؟!
فلو أن رئيس دولة خرج في زيارة رسمية إلى دولة أخرى وكان معه أغلب وزرائه، فيا ترى من سيبقي في إدارة الدولة؟!
هل سيبقي شخصية مهمة بحيث أنه إذا حصل له في غيابه شيء فإن البديل قائم؟!
فكيف والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس ذاهباً إلى زيارة رسمية؟!!
إنما إلى معركة مصيرية، وهو ثاني قتال مع الروم؟!

والقتال الأول مع الروم كان في مؤتة، وقتلت فيها ثلاث قيادات.
والحال كما وصفه عمر قال (كُنَّا نَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنَا) (وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا، فَقَدِ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا مِنْهُ).
فاحتمال وقوع المخاطر موجود.
فإن قيل فإن حصل شيء فمحمد بن مسلمة هو المرشح للخلافة، لأنه هو من عيّنه رسول الله واليا على المدينة؟!
قلنا:محمد بن مسلمة توفي في عهد معاوية سنة 47هـ.
وطوال هذه المدة لم تكن شخصيته حاضرة في إدارة الخلافة، بخلاف مكانة الإمام علي ومنزلته، فإنها حاضرة في إدارة الخلافة.
فلو حصل في معركة تبوك شيء فلن يرجع الناس إلى محمد بن مسلمة إنما سيرجعون لمن قال له رسول الله «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».
ولكان الإمام علي مرجعاً للناس في تعيين الخليفة، إما أن يعين نفسه وإما أن يعين من يرتضيه بحسب معطيات الشورى، فهو من يفصل في خلاف المتشاورين.

وإذا كانت عبارة «إما أقيم أو تقيم» تشير إشارة واضحة إلى مكانته.
ومع ذلك بدأ المنافقون يشغبون فيها، فلقد كان علي محتاجاً إلى عبارة أوضح، لا يشغب فيها المنافقون، ومن جهة أخرى كان يحتاج إلى مواساة،
فلحق علي بالنبي في منطقة يقال لها الجرف -على بعد اثنين كيلومتر تقريباً من المدينة-، فأدركه وجعل يبكي.
وإذا كان رسول الله يضيق صدره بإنكار الكفار رسالته حتى يأتي معه ملك، حتى قال له الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: 12].
فإن بكاء الإمام أيضاً من هذا الجنس.

(لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى تَبُوكَ، خَلَّفَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ بِالجُرُفِ يَحْمِلُ سِلَاحَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُخَلِّفُنِي بَعْدَكَ وَلَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْكَ قَطُّ؟ قَالَ: فَوَلَّى مُدْبِراً، فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، فَرَجَعَ بَعْدَ فِرَاقِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ المُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَّفْتَنِي اسْتِثْقالاً لِي. فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟»).
السنة لابن أبي عاصم (1331).

(فَأَدْبَرَ عَلِيٌّ مُسْرِعاً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى غُبَارِ قَدَمَيْهِ يَسْطَعُ)اهـ، الطبقات الكبرى لابن سعد (17/3).

وتنزلاً على فهم النواصب.
رجع علي إلى المنافقين، وقال لهم لم يستثقلني رسول الله، مطلقاً، بل قال لي «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».
فقال له المنافقون وأي فضيلة في ذلك؟!!
فقال لهم علي: هارون أخو موسى، وخليفته في قومه، ونبي معه.
فقال له المنافقون: أنت لست نبياً والحديث نفى النبوة «إلا أنه لا نبي بعدي».
وأما الأخوة فالله يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فأي خصوصية لك في ذلك.
وقال ابن تيمية (أَحَادِيثَ الْمُؤَاخَاةِ لِعَلِيٍّ كُلُّهَا مَوْضُوعَةٌ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُؤَاخِ أَحَداً، وَلَا آخَى بَيْنَ مُهَاجِرِيٍّ وَمُهَاجِرِيٍّ، وَلَا بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَا بَيْنَ أَنْصَارِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ، وَلَكِنْ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي أَوَّلِ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ)اهـ، منهاج السنة النبوية (361/7).
إذن .. يا علي ليست لك خصوصية المؤاخاة.
وأما أنك خليفته في قومه، فأين الخلافة والوالي عليك محمد بن مسلمة؟!
(قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَخْلَفَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: وَذَكَرَ الدَّرَاوَرْدِيُّ: أَنَّهُ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا عَامَ تَبُوكَ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ.
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وخلَّف رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَهْلِهِ وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ)اهـ، البداية والنهاية (11/5).

واستخلافك يا علي ليس كاستخلاف النبي لعثمان ليمارض ابنته رقية.
ففي بدر لم يكن رسول الله يعلم أنه سيذهب لمعركة، وإنما خرج لاعتراض قافلة أبي سفيان.
وقد كانت حالة ابنته حرجة، وبالفعل، فقد ماتت ورسول الله في معركة بدر.
فأنت يا علي لا تمارض أحداً، ورسول الله ذاهب إلى معركة مع الروم والله أعلم ما سيصير في المعركة!!
أرأيت يا علي أنه إنما استثقلك؟!
ولربما قالوا:
بل بقاؤك في المدينة لا معنى له مطلقاً..

(فَإِنَّ غَزْوَةَ تَبُوكَ لَمْ يَأْذَنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لِأَحَدٍ بِالتَّخَلُّفِ فِيهَا، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ فِيهَا إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ مَعْذُورٌ أَوِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ عِظَمُ مَنْ تَخَلَّفَ فِيهَا النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ). منهاج السنة النبوية (272/4).
فلماذا أبقاك يا علي؟! أرأيت أنه إنما استثقلك!!!

فنقول لأمين جعفر وصبيان النواصب، أليس قولكم هو مضمون قول المنافقين (إنما خلفك استثقالا لك)؟!!

فأما نحن فنقول:
إن الإمام علياً عليه السلام فهم بوضوح معنى الإمامة من الحديث بدليل أنه قال لأبي بكر:
(وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً) أي في تعيين الخليفة.
وكيف رأى لنفسه نصيباً إلا من هذا الحديث وأمثاله:
«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».
وفي قوله «إلا أنه لا نبي بعدي».
يفيد أنه يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل شيء، ولو لم يكن التشبيه يفيد العموم لما كان هناك فائدة من الاستثناء في قوله: «إلا أنه لا نبي بعدي».
تأمّل العبارة مرّة أخرى:
ولو لم يكن التشبيه يفيد العموم لما كان هناك فائدة من الاستثناء في قوله «إلا أنه لا نبي بعدي».
فهي منزلة لا تختلف عن منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلاحيات التصرف في الأمة إلا أنه لا يوصف الإمام علي فيها بالنبوة.
فالاستثناء يفيد أن يقوم مقامه في كل شيء «إلا أنه لا نبي بعدي».

فإن قيل: فلو كان رسول الله نفسه بقى في المدينة فإنه لن يؤمر عليها لا محمد بن مسلمة ولا عرفطة، فلماذا أمّر عليها محمد بن مسلمة أو عرفطة مع وجود الإمام علي؟!!
فنرجع لنقول: لأن إمامة علي بمنزلة النبوة وليست خلافة.
والنبي له صلاحيات في تعيين الملك أو الخليفة، فقد يرى المصلحة في تعيين نفسه..
وقد يرى المصلحة في تعيين غيره.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً﴾ [البقرة: 246].
ولم يقل له أحد أنت نبي، فيستحيل أن يكون الخليفة غيرك!!
إذن .. فالنبي قد يعين نفسه، وقد يعين غيره.
فإمامة ونبوة رسول الله مصحوبة بخلافة.
والإمام علي بمنزلة رسول الله في الإمامة، وقد يكون خليفة وقد لا يكون.
ولذا عيّن رسول الله على المدينة محمد بن مسلمة، وعيّن الإمام علياً إماماً «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».
فكان الإمام علي بذلك معيناً إماماً، يرجع إليه أمير المدينة.
ولعله تهيأةٌ نفسيةٌ لهذا الحال، فقد رشح رسول الله أبا بكر للخلافة، على أساس أن يكون الإمام علياً مرجعية للأمة.
وتصور المسألة غاية في البساطة، فهذا الخامنئي مرجعية الدولة في إيران، ورئيس الدولة يرجع إليه في الخطوط العريضة والسياسة العامة.
وهذه النظرية قائمة حتى في الولايات المتحدة الأمريكية.
فلديها رئيس للولايات المتحدة الأمريكية.
ولديها مؤسسة دستورية في النظام السياسي وهو (الكونغرس) ويتألف من مجلس الشيوخ الأمريكي الذي يبلغ عدد أعضائه (100)، ومجلس النواب الأمريكي الذي يبلغ عدد أعضائه (435).

والقوم الذين يهمهم تصور الدولة يلتفتون إلى هذه المعاني.
أما الذين يرون الدين محصوراً في الدفاع عن معاوية فلا يمكن أن يفقهوا هذه المعاني.

وكـان منــه عــلى رغـم الحســود لــه　　　مكان هـارون مـن مـوسى بـن عمرانـا

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً﴾ [البقرة: 246].
وإذا عيّن الإمام ملكاً للناس، فهذا لا يعني أن النبي انتهت مهمته، ويبقى بمثابة أحد الوزراء أو المستشارين لهذا الملك، كما تصرّ مدرسة أمين جعفر في تحجيم منزلة الإمام علي.
لذا (لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة، فقال: يا أيها الناس، إني قد عهدت عهداً أفترضون به؟
فقال الناس: قد رضينا يا خليفة رسول الله.

فقال علي: لا نرضى إلا أن يكون عمر بن الخطاب)اهـ، أسد الغابة (326/2).
فقوله الإمام علي: لا نرضى إلا أن يكون عمر، ليس فيه تنازل عن إمامته.
بل فيه ممارسة لصلاحيات الإمامة..
فالإمام يعين خليفة وقد يعين نفسه.
وليست المسألة شورى، وأن رأي علي كرأي غيره من أهل الشورى.
لا، بل هو الإمام، والثقل الآخر بعد القرآن.
فلو أن الإمام علياً: رشح غير عمر مثلاً، ورشح أبو بكر عمر..
لكانت خلافة عمر كخلافة أبي بكر لا تصح إلا أن يجيزها الإمام علي ويرضى.
وقول الإمام علي: لأبي بكر (وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً) أي في تعيين الخليفة.
وليس معناه أن يعين الإمام علي الخليفة دون أن يشاور الناس.
فقد كان رسول الله يشاور الناس ويستمع لآرائهم، ولكن في النهاية هو من يفصل في القضية.
وفي غياب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحياة كان الإمام علي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسى فله صلاحية التصرف في الأمة كما للنبي في أمته صلى الله عليه وآله وسلم.
وهذا يؤيد حديث الثقلين.
فالأحاديث يؤيد بعضها بعضاً ويصدّق بعضها بعضاً لأنها تنبعث من منبعٍ واحد من مشكاة النبوة.
ولأهمية هذه المنزلة تمناها سعد بن أبي وقاص.
ففي مسلم..
(قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْداً فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثاً قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَنْ أَسُبَّهُ، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهُ، خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي»). صحيح مسلم (24004).

نعم، لو كان الأمر كما يصوره أمين جعفر لما تمنى سعد رضي الله عنه تلك المنزلة.
لأنه لا مزية فيها فقد استخلف رسول الله غير الإمام علي في المدينة، فكان ماذا؟!!
فهل يتمنى سعد أن يتخلف عن رسول الله في غزوة من الغزوات، ليكلفه بمهمة العناية بأهله؟!!

وقد كانت معيشة أهل رسول الله في غاية البساطة يقتاتون على الماء والتمر أشهراً!!
هل مجرد التخلف عن جيش رسول الله هي المزية؟! أم شيء آخر؟!
لذا فهم سعد رضي الله عنه أنها منزلةٌ لا يسمو إليها سعد، فلذا تمناها.
(عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْداً فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثاً قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَنْ أَسُبَّهُ، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ، خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي»)
أخرجه مسلم برقم (2404)

ومن هنا يتبيّن..
أننا جماعة ننتمي إلى الدليل، فحيث مال الدليل نميل.
فالأحاديث التي نستدل بها ليست من الكافي ولا بحار الأنوار وإنما من صميم البخاري ومسلم وغيرهما.

وأما تشبيه أبي بكر رضي الله عنه بإبراهيم وعيسى عليهما السلام.
وتشبيه عمر رضي الله عنه بنوح وموسى عليهما السلام.
فلفظ الحديث:
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنِ الله لَيُلين قلوب رجالٍ فيه حتى تكونَ ألينَ من اللبَن، وإن الله ليشُدُّ قلوب رجاليَ فيه حتى تكون أشدَّ من الحجارة، وإن مَثلك يا أبا بكر كمثَلِ إبراهيم عليه السلام، قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ومثلُك يا أبا بكر كمثَل عيسى، قالَ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ وإن مثلك يَا عمر كمثل نوح، قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾، وإن مثلك يا عمر كمثل موسى، قال: رَبّ ﴿اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾»
والحديث نقل ابن تيمية أنه في الصحيحين، وتبعه أمين جعفر.
إلا أنه ليس في الصحيحين ولا في أحدهما.
بل هو حديث ضعفه جمع من العلماء!
نعم، نعم!
وبما أن الإمام أحمد ذكره في مسنده فهو مما له اعتبار عندنا.

وهو كذلك!

إلا أننا لو حاسبنا القوم، على ثقافتهم..

فقد ضعفه الألباني فقال: (منقطع أبو عبيدة لم يسمع من أبيه)اهـ، إرواء الغليل (48/5).

وضعفه الأرناؤوط في تعليقه على المسند برقم (3632).

وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند على نفس رقم الحديث (3632).

ثانياً.. الحديث بيّن وجه التشبيه أن المشابهة في اللين والشدة فقط.

لا في كل شيءٍ بخلاف تشبيه الإمام علي فكان تشبيهاً منزلته بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولو لم يكن التشبيه يفيد العموم لما كان هناك فائدة من الاستثناء في قوله «إلا أنه لا نبي بعدي».

كما مضى.

مشاركة الإمام علي في تبليغ الرسالة

استشكل أمين جعفر هذا المعنى، وكان عليه أن يرجع إلى معنى حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

واستثناء النبوة يفيد العموم في كل شيء، وإلا لما كان هناك فائدة للاستثناء.

وهارون كان يعين موسى في التبليغ.

إذن .. الإمام علي كان يعين النبي في تبليغ الرسالة، ويؤيد هذا حديث..

(عن أبي بكر: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثه ببراءة لأهل مكة، لا يحجُ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدّةٌ فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله، قال: فسار بها ثلاثاً، ثم قال لعليّ: «الحقه فرُدَّ عَلَيَّ أبا بكر وبلِّغها أنت»، قال: ففعل، قال: فلما قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله حدث فيّ شيء.

قال: «ما حدث فيك إلا خير، ولكن أُمرتُ ألا يبلغه إلا أنا أو رجل مني»). أخرجه الإمام أحمد برقم (5). صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (168/1).

قال الألباني: (وله شاهد مرسل أخرجه ابن إسحاق في (السيرة) (190/4) بسند حسن مرسل)اهـ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (304/4).

ولفظه: (لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَقَدْ كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لِيُقِيمَ لِلنَّاسِ الحَجَّ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ بَعَثْت بِهَا إلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «لَا يُؤَدِّي عَنِّي إلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي».

ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ...

فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم العَضْبَاءَ، حَتَّى أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ.

فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ قَالَ: أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ؟ فَقَالَ: بَل مَأْمُورٌ، ثُمَّ مَضَيَا). سيرة ابن هشام (545/2).

فإن قيل إن غير الإمام علي قد بلّغ فما وجه التخصيص في قوله «لَا يُؤَدِّي عَنِّي إلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي».

قلنا: التبليغ لأحكام الإسلام يكون من جميع المسلمين «بلغوا عني ولو آية».

أما إذا كان التبليغ في الخطوط العريضة والقضايا السياسية والسيادية فإما أن تكون من سيد القوم أو من يقوم مقامه سيد القوم.

(قَالَ التُّورِبِشْتِيُّ: كَانَ مِنْ دَأْبِ العَرَبِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ مُقَاوَلَةٌ فِي نَقْضٍ وَإِبْرَامٍ وَصُلحٍ وَنَبْذِ عَهْدٍ أَنْ لَا يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَّا سَيِّدُ القَوْمِ أَوْ مَنْ يَلِيهِ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ القَرِيبَةِ وَلَا يَقْبَلُونَ مِمَّنْ سِوَاهُمْ فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي أَمَّر رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَحُجَّ بِالنَّاسِ؛ رَأَى بَعْدَ خُرُوجِهِ أَنْ يَبْعَثَ عَلِيّاً كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ خَلفَهُ لِيَنْبِذَ إِلَى المُشْرِكِينَ عَهْدَهُمْ وَيَقْرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ بَرَاءَةٍ وَفِيهَا: ﴿إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هذا﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحْكَامِ فَقَالَ قَوْلَهُ هذا تكريماً له بذلك)اهـ، تحفة الأحوذي (152/10).

فإن قيل هذه عادة جاهلية عند العرب؟!

قلنا فلماذا أقرّها الإسلام؟!!

بل وجاء جبريل وأمر الرسول بذلك (وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ نَحْوَهُ لَكِنْ قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ إِنَّهُ لَنْ يُؤَدِّيَهَا عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ)اهـ، فتح الباري لابن حجر (318/8).

وهذا يؤيد ما نحن فيه من تقرير منزلة الإمامة.

الإمامة

يخلط أمين جعفر ومدرسته بين معاني الإمامة والخلافة.
فالخلافة والإمامة عندهم شيءٌ واحد.
والرد ببساطة..
الخليفة يكون ملكاً أو سلطاناً أو رئيساً.
ويكون عادلاً وقد يكون جائراً.
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30].
قال القرطبي (وَالمَعْنِيُّ بِالخَلِيفَةِ هُنَا... آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي إِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ...
هَذِهِ الآيَةُ أَصْلٌ فِي نَصْبِ إِمَامٍ وَخَلِيفَةٍ يُسْمَعُ لَهُ وَيُطَاعُ، لِتَجْتَمِعَ بِهِ الكَلِمَةُ، وَتَنْفُذُ بِهِ أَحْكَامُ الخَلِيفَةِ. وَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ ذَلِكَ بَيْنَ الأُمَّةِ وَلَا بَيْنَ الأَئِمَّةِ)اهـ، تفسير القرطبي (263/1).

قال ابن كثير (وَلَيْسَ المُرَادُ هَاهُنَا بِالخَلِيفَةِ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَطْ، كَمَا يَقُولُهُ طَائِفَةٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ، ... وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ آدَمَ عَيْناً إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا حَسُنَ قَوْلُ المَلَائِكَةِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّ مِنْ هَذَا الجِنْسِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ)اهـ، تفسير ابن كثير (216/1).

لكن الإمامة هي أن يجعل الله شخصاً قدوة للناس وخاصة في المواقف المفصلية.
﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].
وسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن خليفةً أو سلطاناً أو ملكاً أو رئيساً.
ولذا فالإمامة لا يكون صاحبها ظالما: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.
وأما الإمامة عند الزيدية شرطها الخروج ويدعو إلى نفسه كالإمام زيد، مع أنه لم يلِ الخلافة، فإن خرج قائم أهل البيت وولي الخلافة فهو إمام أيضاً، ولهذا يطلق على حكام الزيدية في اليمن أئمة.

حديث الثقلين

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» أخرجه أحمد والترمذي.
صححه أكابر علماء الحديث كالترمذي والطحاوي والذهبي والحاكم والألباني والوادعي وغيرهم.

ولكن أمين جعفر كعادته نقل كلام ابن تيمية فيه في منهاج السنة:
(وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَأَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ» فَهَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل فَضَعَّفَهُ، وَضَعَّفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلمِ. وَقَالُوا: لَا يَصِحُّ)اه، منهاج السنة النبوية (394/7).
لم يجرؤ ابن تيمية ولا أمين جعفر على تضعيف الحديث، ولو كان ضعيفاً عندهم، لزادوه وَهْناً على وَهْن، ولصرخوا بملءِ أفواههم أنه ضعيف على ما قيل:

ولو رأتني في نارٍ مُسَعَّرةٍ ثم استطاعَتْ لزادَتْ فوقَها حَطَبا

ولكنه لمّا رأوا ألا مطعن فيه يُسقط الاحتجاج به، استروحوا إلى ذكر خلاف ساقط من غير بيان لبطلانه.
وما أحقهم بقول ابن الوزير:
(الِاسْتِرْوَاحُ إِلَى ذِكْرِ هَذَا الخِلَافِ السَّاقِطِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ لِبُطْلَانِهِ؛ عَصَبِيَّةٌ شَنِيعَةٌ، ... وَالمَنْعُ مِنْ الصِّحَّةِ بِمُجَرَّدِ العَصَبِيَّةِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ صَنِيعُ مَنْ لَا عِلمَ لَهُ، بَل مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، وَلَا حَيَاءَ)اه، سبل السلام للصنعاني (375/2).
فالحديث صححه غير واحد من أهل العلم.
فصححه الترمذي والطحاوي والذهبي والحاكم والألباني.
ويمكنك مراجعة السلسلة الصحيحة للألباني رقم (1750) لترى طرق الحديث وألفاظه.
وكذا صححه الوادعي في تسجيل صوتي متداول على مواقع التواصل الاجتماعي.
وصححه الأرناؤوط في تعليقه على المسند.

وهذه معلومات لا تخفى على مثل أمين جعفر، لكن لهوى النفوسِ سريرةٌ لا تُعْلمِ.
وسنقف مع رواية صحيح مسلم، ونشرح عليها بقية الروايات.
الرواية كالآتي:
قَالَ زَيْدُ بنُ أَرْقَم: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْماً فِينَا خَطِيباً بِمَاءٍ يُدْعَى خُمّاً بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ «أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».
بعد سرد الحديث تتسابق بعض التساؤلات.
ما دلالة الزمان حيث أنه كان بعد حجة الوداع؟!
وما دلالة المكان في غدير خم؟!
ومن يا ترى هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!
فأما دلالة الزمان بعد حجة الوداع قبيل موت رسول الله بقرابة ثلاثة أشهر:
فهو حديثُ مودعٍ مفارق.
ويعزز ذلك ويجليه ويوضحه استفتاح حديثه وخطبته بإشعارٍ بقرب رحيله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال:
«أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّى فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ».
إذن .. الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يُشعر الناس بأنه سيفارق الحياة، وعن قريب يوشك أن يأتي رسول ربه؛ وهو ملك الموت فيجيب.
إذن.. لمن تتركنا بعدك يا رسول الله؟ ومن يقوم مقامك إلى يوم القيامة؟
قال «وإني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وأهل بيتي».
إذن.. ليست قضية غدير خم محصورة في معالجة إشكالات وقعت أثناء إمارة الإمام علي على اليمن.
فالأمر لم يكن محصوراً في هذه القضية فقط وإنما يعالج قضية هي أكبر.
وهي ما بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة لأن رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيحدث فراغاً في الأمة، من سيسدّ هذا الفراغ؟!
قال «وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ كتاب الله وأهل بيتي».
فآل البيت مع القرآن ثقلان يسدّان الفراغ الذي يخلفه رحيل رسول الله في أمته، ولذا سمي آل البيت ثقلاً.

ولولا أنه ثقل لما استطاع أن يسد الحدّ الأدنى من ذلك الفراغ الهائل.
فهذا بيت القصيد ومحور الخطبة!
ثم وقفة مع دلالة المكان وهو غدير خم منطقة بين مكة والمدينة.
فبعد أن انصرف الأعراب من الحج خلص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمهاجرين والأنصار الذين على كواهلهم قامت دولة الإسلام.
وهكذا الأمور الجسيمة، إنما يُتحدث بها مع أهل الفقه وأهل الشرف.
(فلما قال رجل: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ. قَالَ عبدالرَّحْمَنِ: فَقُلتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لاَ تَفْعَل، فَإِنَّ المَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لاَ يَعُوهَا، وَأَنْ لاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِل حَتَّى تَقْدَمَ المَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ العِلمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللَّهِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالمَدِينَةِ....
ثم لما وصل المدينة خطب فقال:
إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلاً مِنْكُمْ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلاً عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ) متفق عليه.
فحديثه عن الخلافة على المسلمين، والتشاور في أمر الخلافة وتعيين الخليفة أمر خاص بأهل المدينة.
ولذا لم يكن تعيين أبي بكر خليفة إلا في المدينة، ولا دَخْل لبقية الأعراب فيها.
فقول رجل (لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلاَنًا).
لم يقلها أعرابي إنما قالها رجل من المدينة، لأن أهل المدينة اختُصوا بتعيين الخليفة.
والخلفاء الأربعة لم يعينوا إلا في المدينة.

ولذا لما خاطب (الحسن بن علي أباه الإمام علي معاتباً: ألم آمرك أن لا تقبل بيعة الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؟!
فقال له الإمام علي: أما قولك لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة)اهـ، تاريخ الطبري (11/3).

فإن قيل في يوم عرفة أكمل الله الدين، فلماذا يقول رسول الله في غدير خم قوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي».
فكيف «لن تضلوا» وقد أكمل الله الدين؟!.
فالإجابة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:
لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قَالَ: «ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ»
قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا.
فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: «قُومُوا عَنِّي، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ».
فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ» أخرجه البخاري برقم (114).

فماذا تقول مدرسة أمين جعفر في الحديث؟!
ولو كانوا حاضرين يومها فهل سيقولون لرسول الله: اكتمل الدين يوم عرفة، ولن نضل وفينا كتاب الله!!
فإن قيل قد قال عمر (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا).
قلنا أخطأ عمر رضي الله عنه في قوله.
وكان خطأه رزية، قال ابن عباس «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ».
ولسنا في صدد ماذا كان سيكتب لأنه لم يكتب، إنما الغرض هو الرد على شبهة أن الله أكمل الدين يوم عرفة، فيلغون كل ما بعدها.

قال ابن حزم (وحتى لو نزلت بعد ذلك شرائع لما كان نزولها معارضاً للآية المذكورة لأن الدين في كل وقت تام كامل ولله تعالى أن يمحو من الدين ما يشاء وأن يزيد فيه وأن يثبت وليس ذلك لغيره، بل قد صح أمر النبي صلى الله عليه وسلم قبيل موته بساعة بإخراج الكفار من جزيرة العرب وألا يبقى فيها دينان ولم يكن هذا الشرع ورد قبل ذلك ولو ورد لما أقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما غرضنا في هذه الآية أن الله تعالى تولى إكمال الدين وما أكمله الله تعالى فليس لأحد أن يزيد فيه..)اهـ، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (11/8).

طيب..
فمن أهل بيته الذين يسدّون الفراغ الذي سيخلفه رحيل رسول الله إلى يوم القيامة.
قَيل لزيد: ومن آل بيته؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ.
قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ.
وهذا حصر من زيد بأن آله هو من حرمت عليهم الصدقة وليس منهم أزواج رسول الله.
وفي رواية عند مسلم (قيل له: ونساؤه؟.
قَالَ: لاَ وَأيْمُ اللَّهِ إِنَّ المَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ العَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَقَوْمِهَا. أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلُهُ وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ) أخرجه مسلم برقم (6381).
فهذا يدل على أن تفسير آل البيت إنما كان اجتهاداً من زيد وإلا فأزواج رسول الله من آل بيته بنص القرآن.
ثم إن هناك رواية خصت العترة من آل البيت وليس كل آل البيت.
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «انظروا كيف تخلفوني في الثقلين» قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله؛ طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا، والآخر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ» أخرجه الطبراني برقم (4971).
إذن .. قال «كتاب الله ... والآخر عترتي».
إذن .. العترة لهم مزيد خصوص أكثر من آل البيت.
وقرب العترة كما (رَتَّبَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَسْعَدَ النَّسَّابَةُ المَعْرُوفُ بِالحَرَّانِيِّ، جَمِيعَهَا وَأَرْدَفَهَا فَقَالَ: جَذْمٌ ثُمَّ جُمْهُورٌ ثُمَّ شِعْبٌ ثُمَّ قَبِيلَةٌ ثُمَّ عِمَارَةٌ ثُمَّ بَطْنٌ ثُمَّ فَخِذٌ ثُمَّ عَشِيرَةٌ ثُمَّ فَصِيلَةٌ ثُمَّ رَهْطٌ ثُمَّ أُسْرَةٌ ثُمَّ عترة ثُمَّ ذُرِّيَّةٌ) فتح الباري لابن حجر (528/6).
و(قَالَ التُّورِبِشْتِيُّ: عترة الرَّجُلِ أَهْلُ بَيْتِهِ وَرَهْطُهُ الْأَدْنَوْنَ، وَلِاسْتِعْمَالِهِمُ العترة عَلَى أَنْحَاءٍ كَثِيرَةٍ بَيَّنَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: أَهْلَ بَيْتِي، لِيُعْلَمَ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ نَسْلَهُ وَعِصَابَتَهُ الْأَدْنَيْنَ وَأَزْوَاجَهُ)اهـ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3974/9).
والعترة لا تنقطع بل هي مستمرة إلى أن يخرج الإمام المهدي عليه السلام.
قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «المَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ أَوْلَادِ فَاطِمَةَ».
رَوَاهُ أَبُو دَاوُد برقم (4284) وصححه الألباني.
ورواية أخرى وصفت أصحاب الكساء بمزيد من تخصيص على آل البيت.

ففي الحديث (أن النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم كان عَلَيْهِ كساء فَجَاءَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» أخرجه مسلم برقم (6414).

وفي رواية: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» أخرجه الترمذي.

«أهل بيتي وخاصتي» إذن .. فأصحاب الكساء ليسوا أهل بيته فقط بل وخاصته أيضاً.

فعترة آل البيت هم الذين سيسدّون الفراغ الذي خلفه رحيل رسول الله إلى يوم القيامة!

لكن بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الذي يسدّ الفراغ الذي يخلفه رحيل رسول الله هو الإمام علي عليه السلام من بين أصحاب الكساء.

فإن الحسن والحسين كانا صغيرين يومها.

وكان الإمام علي ولي أمرهما حيث أنه أبوهما.

وأما فاطمة فالإمام علي كان قيماً عليها، فهي بحاجة إلى من يلي أمرها وهو زوجها الإمام علي، فكيف تكون وّلِيَّة أمر؟!

وهي مثل أزواج رسول الله فهن من أهل بيته أيضاً، إلا أن النساء لا ولاية لهن على الرجال.

فالأم لها حضانة ابنها ثم إذا تجاوز سن الحضانة فأبوه هو من يربيه وإنما الولاية الكاملة للرجال.

فخرجت بذلك فاطمة وأمهات المؤمنين.

ولم يبق معنياً مستحقاً لكمال الوصف في حديث: «إني تارك فيكم ثقلين»؛ لم يبق مراداً منه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة إلا الإمام علي.

وخاصة إذا أضفنا إليه حديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه» والولاية للرجال دون الإناث.

وإذا أضفنا إليه أيضاً قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى».

فهنا كذلك في رواية مسلم: «إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وأهل بيتي».

ثقلين كتاب الله ثقل، والإمام علي هو الثقل الآخر.

ويكون معنى الحديث إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله؛ أحدهما والثقل الآخر هو الإمام علي مدة حياته.
هذا لازم معنى الحديث.
والإمام علي كلما زاد عمره وإيمانه زاد ثقله.

«أذكركم الله في أهل بيتي»
فإن قيل المراد بقوله في الحديث: «أذكركم الله في أهل بيتي» هو التقدير والاحترام والمحبة.
قلنا:
أولاً: لطالما بحت أصوات مدرسة أمين جعفر صياحاً أن المحبّ لمن يحبّ مطيع، فلا بد من طاعة المحبوب.
﴿قُل إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فلا بد من اتباع المحبوب.
لكن محبة آل البيت لا طاعة ولا اتباع.

ثانياً: لو كان الأمر ينتهي عند مجرد تقدير آل البيت واحترامهم ومودتهم.
فلماذا أطلقت عليهم رواية مسلم وغيره وصف (الثقلين)؟!!!
فمحبتهم وتقديرهم أمر سهل ويسير وخاصة على مذهب أمين جعفر ومدرسته، فلماذا يوصف آل البيت بأنهم ثقل؟!!!
لكن ألا ترى أن القتال مع الإمام علي ضد معاوية أمر ثقيل حتى فكرياً؟!
وتنازل الإمام الحسن أمر ثقيل نفسياً؟!!
والخروج مع الإمام الحسين ثقيل؟!!
والخروج مع الإمام زيد، والخروج مع النفس الزكية أمر ثقيل؟!!
وإعلان الولاء لآل البيت في وجه الظلم الأموي والعباسي ثقيل أيضاً؟!
«أذكركم الله في أهل بيتي» ويذكر رسول الله بشتى العبارات بأهل بيته.
«وإني تارك فيكم ثقلين».
«من كنت مولاه فعلي مولاه».
«أنت مني بمنزلة هارون من موسى».

«أذكركم الله في أهل بيتي» والتذكير إشارة إلى عدم نسيانهم.
ومع هذا التذكير فسرعان ما كان النسيان.
ألا ترى كيف نسي الإمام علي في بيعة الخليفة الأول فكيف بغيره؟!!!

ومع القول بصحة خلافة أبي بكر لإجازة علي؛ إلا أن مدرسة أمين جعفر لم تتحمل هذا القول، فهم يريدون منزلة لآل البيت أخف من هذه، أما هذه فثقيلة.

لذا أزاحت مدرسة أمين جعفر هذا الثقل عن كاهلها بمحاولة توهين أحاديث (الثقلين) وتفريغها من مضمونها.

وجعلته ثقلاً واحداً في مخالفة صريحة صارخة للفظ الحديث!

ثالثاً: قوله في رواية أخرى: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي» والتمسك بهما لا يعني مجرد التقدير والاحترام والمحبة العاطفية الوجدانية من غير تحمل لأعباء محبة آل البيت في اتباع منهجهم الثقيل.

فكما أن التمسك بالقرآن هو اتباع توجيهاته فكذا التمسك بالعترة؛ أي اتباع توجيهاتها التي فَهِمَتها من القرآن.

كيف يكون أهل البيت ثقلا؟!

فإن قيل: ألا يكفي كتاب الله؟! فلماذا أضاف إليه ثقلاً آخر؟!
فالإجابة: لفهم معنى اقتران آل البيت بالكتاب.
فليس كل الأنبياء نزل عليهم كتب، فبعضهم نزل عليه كتاب وبعضهم لم ينزل عليه كتاب.
ومن لم ينزل عليه كتاب كان يوجه الناس عبر توجيهات الكتاب الذي أُنزل على من سبقه من الرسل.
فزكريا ويحيى واليسع وأيوب ويونس لم ينزل عليهم كتاب، وإنما كانوا يتبعون التوراة.
وكان بنو إسرائيل بحاجة إلى التوراة وبحاجة إلى قائم بالتوراة وهم الأنبياء.
فموسى مثلاً ترك في بني إسرائيل ثقلين، ثقل التوراة، وثقل الأنبياء؛ الذين يترجمون التوراة عملياً، وهم الناطقون عنها مدة حياتهم.
وإذا كان هذا في التوراة ففي القرآن من باب أولى.
فرسول الله أوحي إليه القرآن.
طيب..
من سيكون ترجمان القرآن في البعد العلمي وفي البعد السياسي؟!
فقال صلى الله عليه وآله وسلم «إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وأهل بيتي».
ثقلين ليس ثقلاً واحداً فالأمر لا يستقيم بثقل واحد.
لو كان يستقيم بثقل واحد لما بعث الله كتباً كالتوراة مثلاً، ثم بعث أنبياء يحيون المعاني التي في الكتب.
فأنبياء بني إسرائيل كانوا ثقلاً يترجمون معاني الثقل الآخر وهو التوراة.
إذن .. أهل البيت ثقل يقرنهم رسول الله بكتاب الله فيقول ثقلين.
ولذا يذيل اسمهم بالسلام عليهم فيقال آل البيت عليهم السلام لأنهم في مقام الأنبياء إلا أنهم لا يوحى إليهم.
«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».
واقتران آل البيت بالقرآن له إيحاءات في الذهن وخاصة الإمام علي.
فبمقتضى الاقتران فإن الحق مع علي وعلي على الحق.
وأن الحق يدور معه حيث دار، سواءٌ ورد فيه حديث أو لم يرد.
لذا كان هذا الثقل حاضراً في تعيين الخليفة الثاني (فلما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال: يا أيها الناس، إني قد عهدت عهداً أفترضون به؟

فقال الناس: قد رضينا يا خليفة رسول الله.
فقال علي: لا نرضى إلا أن يكون عمر بن الخطاب)اهـ، أسد الغابة (326/2).
ونكرر!
فقول الإمام علي: لا نرضى إلا أن يكون عمر، ليس فيه تنازل عن إمامته.
بل فيه ممارسة لصلاحيات الإمامة..
فالإمام معني بتنصيب الخليفة وقد يعيّن نفسه.
وليس رأي علي كرأي غيره من أهل الشورى.
لا، بل هو الإمام، والثقل الآخر بعد القرآن.
فلو أن الإمام علياً: رشح غير عمر مثلاً.
ورشح أبو بكر عمر.
لكانت خلافة عمر كخلافة أبي بكر لا تصح إلا أن يجيزها الإمام علي ويرضى.
ورأي علي ليس كبقية الآراء في الشورى، ألا ترى أنه لما تأخرت بيعته لأبي بكر جاءت إليه بنو هاشم وبنو أمية ليبايعوه، لكنه آثر مصلحة المسلمين.
وفي المقابل لما رفض سعد بن عبادة بيعة أبي بكر، واستمرّ على ذلك إلى أن مات لم يأت إليه من يبايعه!!
وإذا حصل ما حصل في بيعة أبي بكر من الإمام علي..
فمن باب أولى أن يحصل أكثر من ذلك ببيعة عمر، لو كان لعلي موقف معارض من بيعته!!
ولكنه رضي ببيعته.
هذا وقد بان وظهر ثقل الإمام علي السلام العلمي في اعتماد الخليفة عمر على كثير من توجهاته ونصائحه.
وأما في عهد الخليفة عثمان فكانت الجماهيرية لعثمان.
وأفصح عثمان، لعلي رضي الله عنهما عن السبب فقال: (ما ذنبي إن لم تحبك قريش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً كأن وجوههم سيوف الذهب) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني برقم (321).
ولذا أجاز ا الإمام علي خلافة عثمان نزولاً عند رغبة الأكثرية.
ولكن ظهر ثقل الإمام علي في عهد عثمان أكثر.
فلما اختلف الناس على عثمان كان عثمان يرجع إلى علي ويشكو له من طلحة وغيره، والذين خرجوا على عثمان كانوا يرجعون إلى علي كما هو مذكور في كتب التأريخ.

ثم لما وَلِيَ الإمام علي بان فضله وعلمه وثقله خاصة إذا قارنه بموقف الزبير وطلحة اللذين قاتلاه وهما ظالمين له كما قال النبي للزبير: «لتقاتلن علياً وأنت ظالم له» أخرجه الحاكم والبيهقي.

وللزبير وطلحة سابقة فضل، وخُتم للزبير وطلحة بالشهادة في سبيل الله، وتابت عائشة من خروجها توبة نصوحاً وندمت وكانت تبكي حتى تبلّ خمارها.

ثم بان ثقل الإمام علي في قتال الفئة الباغية وكان علي مع القرآن: ﴿فقاتلوا التي تبغي﴾.

وتلك أحداث اضطربت فيها أفهامُ وأذهانُ الكثير، لكن كان فهم وسياسة الإمام علي ثقيلاً.

وبالجملة:

إذا استعصى فهم القرآن وإنزاله في أحداث الفتن التي مرّ بها الصحابة عثمان وعائشة وطلحة والزبير وكانوا في أشد الحاجة إلى ثقل الإمام علي؛ فغيرهم من باب أولى أن يكونوا بحاجة إلى ثقل ينطق بالقرآن.

ثقل يترجم القرآن عملياً، ويكون مرجعية ميدانية، وقرآناً يمشي على الأرض.

فما دام الصحابة احتاجوا إلى ثقل العترة فغيرهم أشد احتياجاً.

وهذا الثقل باقٍ ما بقي القرآن «وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

ولذا فبعد استشهاد الإمام علي جاء دور الإمام الحسن فهو من أهل الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وسيصبح معنى الحديث الأول: إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله والإمام الحسن.

هذا لازم معنى الحديث!

فالإمام الحسن في زمانه ثقل يقرن بثقل كتاب الله.

يدور الحق معه حيث دار.

وبعد استشهاد الإمام الحسن.

قام الإمام الحسين مقام بقية أهل الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وسيصبح معنى الحديث الأول: إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله والإمام الحسين.

هذا لازم معنى الحديث!

والحق يدور معه حيث دار.

ومن حاربه وقاتله فقد قاتل قرآناً يمشي وثقلاً يوازي ثقل القرآن.

آل البيت وأهل البيت

من قال إن دلالة لفظة "أهل بيتي" هم فقط من سكن في بيته وهم أصحاب الكساء؛ متعللاً بأن دلالة كلمة "أهل" البيت ليست كدلالة "آل" البيت.
فالرد عليه أن الصحابة إذا احتاجوا إلى ولاية أهل البيت أصحاب الكساء فحاجة غير الصحابة من باب أولى.
وثانياً.. وإن كان التفريق اللفظي واللغوي بين "أهل البيت" و"آل البيت" جيداً إلا أن الأحاديث لم تتقيد به وعليه فلسنا ملزمين به فقد جاء في الحديث: «إن أهل بيتي سيلقون بعدي تطريداً وتشريداً» وأهل بيته الذين لقوا تشريداً وتطريداً هم ذرية الإمام علي وفاطمة وآخرهم الإمام المهدي الشريد الطريد الموتور بأبيه.
ثالثاً.. جاء في الحديث عن فتنة السراء أن «دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي» أخرجه أبو داود.
ولم يقل في الحديث "من آل بيتي".
فالتدقيق في التفريق بين (أهل) بيتي و(آل) بيتي لم تتقيد به الأحاديث والروايات.
مما يدلل على حديث «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ كتاب الله وأهل بيتي».
أي أهل البيت إلى يوم القيامة وليس مقصوراً على الإمام علي والحسن والحسين.
ولذا جاء في الحديث «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» أخرجه أحمد والترمذي وصححه، والطحاوي والذهبي والحاكم والألباني والوادعي.

لذا فالعترة باقية إلى يوم القيامة «ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» فما دام وجد قرآنٌ، إذن .. العترة موجودة ولا شك.

«من كنت مولاه فعلي مولاه»

كعادته نقل المقلد أمين جعفر قول ابن تيمية في حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه».

قال ابن تيمية (وَأَمَّا قَوْلُهُ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» فَلَيْسَ هُوَ فِي الصِّحَاحِ لَكِنْ هُوَ مِمَّا رَوَاهُ العُلَمَاءُ، وَتَنَازَعَ النَّاسُ فِي صِحَّتِهِ فَنُقِلَ عَنِ البُخَارِيِّ، وَإِبْرَاهِيمَ الحَرْبِيِّ، وَطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ العِلمِ بِالحَدِيثِ أَنَّهُمْ طَعَنُوا فِيهِ وَضَعَّفُوهُ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل أَنَّهُ حَسَّنَهُ كَمَا حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو العَبَّاسِ بْنُ عُقْدَةَ مُصَنَّفاً فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ)اهـ، منهاج السنة النبوية (319/7).

ولبيان كارثية الاسترواح إلى ذكر خلاف ساقط:

أولاً.. ما درجة حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»..

هل هو حديث حسن؟!

ليكون هنالك مجالٌ ليتنازع الناس في صحته.

أما أن الحديث متواتر، فتكون محاولة التشكيك في صحته محاولات عبثية.

مستوى صحة الحديث:

قال الألباني:

1750 «من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

قال الألباني (وجملة القول أن حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، بل الأول منه متواتر عنه صلى الله عليه وسلم كما ظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه، وما ذكرت منها كفاية) السلسلة الصحيحة (343/4).

والجملة الأولى هي قوله «من كنت مولاه فعلي مولاه».

إذن.. الحديث متواتر عند الألباني.

قال ابن حجر (وَأَمَّا حَدِيثُ «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» فَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَهُوَ كَثِيرُ الطُّرُقِ جِدّاً وَقد استوعبها بن عُقْدَةَ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْ أَسَانِيدِهَا صِحَاحٌ وَحِسَانٌ)اهـ، فتح الباري (74/7).

إذن.. قال ابن حجر وهو كثير الطرق جداً وَكَثِيرٌ مِنْ أَسَانِيدِهَا صِحَاحٌ وَحِسَانٌ.

وهذا يعزز قول الألباني أنه متواتر.

قال ابن كثير: («مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»... قَالَ شَيْخُنَا الحَافِظُ أَبُو عبداللَّهِ الذَّهَبِيُّ بَعْدَ إِيرَادِهِ هَذَا الحَدِيثَ... وَصَدْرُ الحَدِيثِ مُتَوَاتِرٌ أَتَيَقَّنُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَهُ..
وَأَمَّا «اللَّهمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ» فَزِيَادَةٌ قَوِيَّةُ الإِسْنَادِ)اهـ، البداية والنهاية (214/5).

إذن.. الذهبي متيقن أنه خرج من فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي أنه متواتر.
ونَقْلُ ابن كثير لكلام شيخه الذهبي يفيد أنه يؤيده وأنه مقرّ له بذلك.

وقال ابن كثير في ترجمة الإمام ابن جرير الطبري: (وَنَسَبُوهُ إِلَى الرَّفْضِ، وَمِنَ الجَهَلَةِ مَنْ رَمَاهُ بِالإِلحَادِ، وَحَاشَاهُ مِنْ ذلك كله.
بل كان أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، ...
وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ كِتَاباً جَمَعَ فِيهِ أَحَادِيثَ غَدِيرِ خُمٍّ فِي مُجَلَّدَيْنِ ضَخْمَيْنِ)اهـ، البداية والنهاية (146/11).
قال الذهبي في ترجمة الطبري (ولمّا بلغه أن أبا بَكْر بْن أَبِي دَاوُد تكلّم في حديث غدير خم. عمل كتاب الفضائل فبدأ بفضل الخلفاء الراشدين، وتكلّم عَلَى تصحيح حديث غدير خمّ، واحتجّ لتصحيحه)اهـ، تاريخ الإسلام للذهبي (163/7).
وقال ابن حجر: (محمد بن جرير بن يزيد الطبري؛ الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة مات سنة عشر وثلاث مائة، ثقة صادق، فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر...
وإنما نبز بالتشيع لأنه صحح حديث غدير خم)اهـ، لسان الميزان لابن حجر (7 /26).

واهتمام ابن جرير الطبري بحديث غدير خم:
أولاً: يفيد صحة الحديث، بل أنه متواتر كما قال الذهبي والألباني وغيرهما.
ثانياً: الحديث له أهمية في إثبات ولاية الإمام علي، وكأن هجمةً شرسةً في أيام الطبري تريد تضعيف الحديث، فاحتاج الإمام الطبري إلى جمع طرقه وإثبات تواتره، بدليل أنه اتهم بالرفض.
ثالثاً: اتهام الأئمة بالرفض أمرٌ قديم.
فكما اتهموا الإمام ابن جرير بالرفض؛ قال ابن حجر: (وإنما نبز بالتشيع لأنه صحح حديث غدير خم)اهـ، لسان الميزان (7 /26).

ها هم يتهمون الإمام الحودلي عليه السلام بالرفض.
شِنْشِنةٌ أعرِفُها مِنْ أَخْزَم.

المهم..
أن القوم لهم جرأة على الأحاديث المتواترة ما دامت أنها في فضل آل البيت.

وقد نقل ابن تيمية تحسين الإمام أحمد والترمذي للحديث.
ثم نُقل عن البخاري أنه طعن فيه.
وهذا غير صحيح.
فالإمام البخاري إنما تناول الحديث في كتاب التأريخ الكبير، وهو كتاب يتناول تراجم بعض الرواة.
وليس الكتاب مصنفاً للروايات وإنما يذكر بعض الرواة، ويشير إلى بعض الأحاديث التي رووها، فذكر الحديث في ثلاثة مواضع بروايات فيها نظر.
مع أن الحديث له طرق كثيرة، بلغها بعضهم سبعين طريقاً.
فأين ثلاث طرق من سبعين طريقاً؟!
والحديث متواتر كما صرح بذلك الأئمة الذهبي وابن حجر وابن كثير والألباني وغيرهم.
وكلام البخاري في ثلاث طرق له لا يعني تضعيف البخاري للحديث.
ولو كان قوله صحيحاً في ثلاث طرق، فأين ذلك من سبعين طريقاً.

ولو كان ابن تيمية أو مقلده أمين جعفر يرون أن كلام البخاري في ثلاث من طرق الحديث يجعله ضعيفاً لصرحوا بذلك.
إذن.. فهم قبل غيرهم يرون أن كلام البخاري لا يؤثر على تواتر الحديث فضلاً عن صحته.
هذا الحديث عن السند فأما معنى الحديث، فصدر الحديث يبين معناه:
عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى قال شَهِدْتُ عَلِيّاً، فِي الرَّحَبَةِ يَنْشُدُ النَّاسَ: أَنْشُدُ اللهَ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» لَمَّا قَامَ فَشَهِدَ، قَالَ عبدالرَّحْمَنِ: فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ بَدْرِيّاً، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أَلَسْتُ أَوْلَى بِالمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَاجِي أُمَّهَاتُهُمْ؟!» فَقُلْنَا: بَلَى يَا

رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» أخرجه أحمد برقم (961).

فقوله: «ألست أولى بالمسلمين من أنفسهم» أي أحقُّ بالمؤمنين من أنفسهم.
ومولاه أي أحق به، ومنه قوله تعالى: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾ [الحديد: 15] أولى بكم.
وفي البخاري في تفسيره لبعض المفردات القرآنية قال: ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ [آل عمران: 150]: «أَوْلَى بِكُمْ» صحيح البخاري (147/6).
وقال الطبري: (في قوله: ﴿إن تطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم﴾، نهياً لهم عن طاعتهم، فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا لا تُطيعوا الذين كفروا فيردُّوكم على أعقابكم، ثم ابتدأ الخبر فقال: ﴿بل الله مولاكم﴾، فأطيعوه، دون الذين كفروا، فهو خيرُ من نَصَر)اهـ، تفسير الطبري (278/7).

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: ﴿النَّبِيُّ﴾ محمد ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: أحق بالمؤمنين به ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم)اهـ، تفسير الطبري (208/20).

قال القرطبي في آية: (﴿مَأْواكُمُ النَّارُ﴾ أَيْ مَقَامُكُمْ وَمَنْزِلُكُمْ ﴿هِيَ مَوْلاكُمْ﴾ أَيْ أَوْلَى بِكُمْ، وَالمَوْلَى مَنْ يَتَوَلَّى مَصَالِحَ الإِنْسَانِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِيمَنْ كَانَ مُلَازِماً لِلشَّيْءِ. وَقِيلَ: أَيِ النَّارُ تَمْلِكُ أَمْرَهُمْ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرَكِّبُ فِيهَا الحَيَاةَ وَالعَقْلَ فَهِيَ تَتَمَيَّزُ غَيْظاً عَلَى الكُفَّارِ) تفسير القرطبي (248/17).
قَالَ الفَرَّاءُ: (المَوالِي ورَثَةُ الرَّجُلِ وَبَنُو عمِّه، قَالَ: والوَلِيُّ والمَوْلى وَاحِدٌ فِي كَلَامِ العَرَبِ.
قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: وَمِنْ هَذَا قَوْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم: أَيُّما امرأَةٍ نَكحَتْ بِغَيْرِ إِذن مَوْلاها.
وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: بِغَيْرِ إِذن وَلِيِّها، لأَنهما بِمَعْنًى وَاحِدٍ)اهـ، لسان العرب (408/15).

فهذه أقوال الأئمة في معنى مدلول اللفظة.
ويقول ابن تيمية:
(فَالمُوَالَاةُ ضِدُّ المُعَادَاةِ، وَهِيَ تَثْبُتُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُ المُتَوَالِيَيْنِ أَعْظَمَ قَدْراً وَوِلَايَتُهُ إِحْسَانٌ وَتَفَضُّلٌ، وَوِلَايَةُ الآخَرِ طَاعَةٌ وَعِبَادَةٌ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُؤْمِنِينَ، وَالمُؤْمِنُونَ يُحِبُّونَهُ، فَإِنَّ المُوَالَاةَ ضِدُّ المُعَادَاةِ وَالمُحَارَبَةِ وَالمُخَادَعَةِ، وَالكُفَّارُ لَا

يُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُعَادُونَهُ)اهـ، منهاج السنة النبوية (322/7).
وقال: (وَأَصْلُ المُوَالَاةِ المَحَبَّةُ، وَأَصْلُ المُعَادَاةِ البُغْضُ)اهـ، منهاج السنة النبوية (30/2).
فحتى على قوله؛ لا معارضة!
أليست المحبة مستلزمة للنصرة؟!
وإذا نصرنا الإمام علياً، وحال الانتصار له فلا بد من جعله قائداً لمن ينصره.
فالانتصار لا يتم إلا بقيادة توجه المناصرين، فرجعنا إلى المعنى الأول.

ولو فرضنا أن بين الأمرين تعارضاً فإن الراجح هو المعنى الأول بدلالة سياق الحديث وهو:
قول الإمام علي: أَنْشُدُ اللهَ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ.
فقوله ((يوم غدير خم)).
قد مرت معنا رواية مسلم أن رسول الله قال يوم ((غدير خم)) في صدر الحديث «أَمَّا بَعْدُ أَلَاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ».

فهل يستقيم أن يقول رسول الله: "يوشك أن أغادر الدنيا وأرحل إلى الله فأحبوا عليا"؟!!!

ثانياً:
هل يوقف النبيُّ الصحابةَ ليخطب فيهم:
"ألست (أحب) للمؤمنين من أنفسهم؟!" قالوا: بلى، قال: "ألست (أحب) إلى كل مؤمن من نفسه؟!" قالوا: بلى، قال: "فمن كنت (أحب) إليه (فليحب) علي كما (يحبني)".
فالسياق الكلامي والمكاني لا يهدي لهذا المعنى.
فالنبي لا يوقف آلاف الصحابة في سفر ليقول لهم أحبوا علياً حباً عاطفياً..
إنما سيكون حديثه عن ولاية الأمة.

ثالثاً:
فهم الإمام علي نفسه.

فقد مضى قول الإمام علي لأبي بكر: (وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيباً).
فمن أين فهم أن له في هذا الأمر نصيباً؟!
وهل كان الإمام علي يجمع الناس في الكوفة في الرحبة (طريق واسع) ثم يسألهم بالله أن يدلوا بشهادتهم مما سمعوا يوم الغدير «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».
فيشهد له ثلاثون صحابياً على أن رسول الله قال ذلك، كما مرّ معنا في الرواية.
فلو كان مراد الإمام علي مجرد المحبة العاطفية فهل يجمع الناس لذلك؟!
وهل يناشد من سمع هذا الكلام أن لا يكتمه إذا كان الحديث يراد به مجرد المحبة العاطفية؟!
فهل كان الناس مختلفين على حبّ علي أم مختلفين على نصرته؟!!

وقد كنت أنزلت تسجيلاً صوتياً في شرح معنى ولاية آل البيت ننقل ما جاء فيه للفائدة:

(ابتداءً كلٌ يعرف ما معنى ولي الأمر، فالأب هو ولي أمر ابنه.
وإنما جعل الأب ولياً لأمر ابنه، لأنه أقرب الناس له، ولأنه تسبب في إيجاده واعتنى بإطعامه وكسوته.
وهو الأرحم به، لذا فتدبيره وتوجيهه لابنه سيكون في صالح وصلاح ابنه.
وولاية الأب ولاية لله، لأن الله هو من اختار لك أباك، فمن برّ بأبيه فقد أطاع الله، ومن عقّ أباه فقد عصى الله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

وإذا عق الابن أباه ولم يبرّ به، وأرهقه، ولم يطع أمره، ولجّ في عقوقه، ولم يتبع توجيهات ولي أمره، فإن ولاية الأب عليه تصبح معدومة، كأنه لا ولاية له لأنه لا يُطاع.
وكما جعل الله الآباء أولياء على الأبناء بسبب إخراجهم من ظلمات العدم إلى نور الوجود.
فقد جعل الله الأنبياء أولياء على أممهم بسبب إخراجهم من الظلمات إلى النور.
وأوامرهم مبنية على الرحمة فهم أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا.
وإنما اكتسب الرسول منزلة الأبوة الروحية للأمة لأنه أخرجها من الظلمات إلى النور: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾
ولذا: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

وما دام أن أزواجَه أمهاتٌ للمؤمنين؛ فهو بطبيعة الحال أبٌ لهم بل أقرب: ﴿أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾.
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أنا بمنزلة الوالد أعلمكم» أخرجه أبو داود.
(قال ابْنَ بِشْرِ بْنِ غَزِيَّةَ: اسْتُشْهِدَ أَبِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَبْكِي فَقَالَ لِي «أَسْكُتْ أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَنَا أَبُوكَ وَعَائِشَةُ أُمُّكَ؟»
قُلتُ: بَلَى، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ) رواه البيهقي في الشعب.
فتأمّل كيف أمر النبي صلى الله عليه وسلم الغلام بالسكوت عن البكاء على الأب الطيني لأن أبويه الروحيين ما زالا على قيد الحياة.
«أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَنَا أَبُوكَ وَعَائِشَةُ أُمُّكَ؟».
ولذا فموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أعظم مصيبةً من موت الآباء والأبناء، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس من أصيب منكم بمصيبة من بعدي فليتعز بمصيبته بي عن مصيبته التي تصيبه فإنه لن يصاب أحد من أمتي من بعدي بمصيبة بمثل مصيبته بي» أخرجه الطبراني في الأوسط.

قيل: يا رسول الله، ما السنة في الرجل يسلم على يدي الرجل من المسلمين؟ قال: «هو أولى الناس بمحياه ومماته» أخرجه أبو داود.
هذا حق من أسلم شخصٌ على يديه فكيف بالرسول الذي ما من خيرٍ إلا وقد دلّ الأمة له، وما من شر إلا حذّر الأمة منه.
فنعمة الله علينا بالرسول الأكرم أعظم من نعمة الله علينا بالخلق والإيجاد ولذا قَدَّم الله التذكير بنعمة تعليم القرآن قبل التذكير بنعمة الخلق في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)﴾.
فقدم في الآية تعليم القرآن على خلق الإنسان: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)﴾.
إذن .. النعمة على الإنسان بتعليمه القرآن أعظم من النعمة عليه بخلقه وإيجاده.
ولذا فالوالدان أب للجسد.
والرسول أب للروح. وسبب إخراجها من مشيمة النفس وظلمة الطبع.
والروح أهم من الجسد.
وإذا كان حقُّ الوالدين: ﴿فَلَا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.
فالنبي أولى وأقرب من الأبوين، فحبّ الله ورسوله مقدمٌ على حبّ الأبوين ومعصية رسول الله أشدّ من عقوق الأبوين وأسوأ.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» رواه البخاري (15)، ومسلم (178).
﴿قُل إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.
ومن قدم حبهم على حبّ رسول الله فليتربص بأمر الله فيه.
ولن يُهدَى إلى الصراط المستقيم لأنه فاسق: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ولي المؤمنين، وأنا ولي كل مؤمن، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟! ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه» أخرجه الترمذي وأحمد وصحح هذا اللفظ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» الترمذي وأحمد والنسائي والذهبي وابن حجر وابن كثير، ومن المعاصرين الحويني والألباني.
فمن لازِم الرضى بولاية الله؛ الرضى بولاية رسول الله، ومن لازِم الرضى بولاية رسول الله؛ الرضى بولاية الإمام علي.
والعكس بالعكس.. من لم يرض بولاية الإمام علي؛ هو أساساً لم يرض بولاية رسول الله، ومن لم يرض بولاية رسول الله؛ هو أساساً لم يرض بولاية الله.
وكما أسلفنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» رواه البخاري (15)، ومسلم (178).
فإن الإمام علي عليه السلام: «لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق» أخرجه مسلم (131).
نعم، الأنصار من الأوس والخزرج بالجملة، لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق.
لكن ليس بأعيانهم وأشخاصهم، لأن القرآن الكريم أثبت أن فيهم منافقين.
قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: 101]
ولذا فبالجملة لا يحب الأنصار كلهم إلا مؤمن.
لقيامهم بواجب النصرة.
لكن، خُصَّ الإمام علي بأنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.
كأن نصرته وحده قامت مقام نصرة الأنصار مجتمعين.

بل الأنصار أنفسهم كانوا يستدلون على المنافقين ببغضهم لعلي فقد ورد عن أبي سعيد الخدري وكذا عن جابر بن عبدالله وكذا عن أبي ذر وهؤلاء كلهم من الأنصار، وأضف إلى ذلك عبدالله بن مسعود وهو من المهاجرين أنهم قالوا: إنما كنا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم علياً. يعني أنه من أبغض علياً عرف الصحابة أنه منافق يحاول أن يندس فيهم.

وكذا حبّ علي يُعرف به المنافقون المندسون في صفوف الجماعات والتيارات الإسلامية.

قال الإمام الألوسي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ قال (وعندي أن بغض الإمام علي رضي الله تعالى عنه من أقوى علامات النفاق) روح المعاني (232/13).

ومزية الإمام علي أنه لا يحبّه إلا مؤمن، لأن الإمام علياً أشد حباً لله ورسوله، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» أخرجه البخاري ومسلم.

يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

وجميع الصحابة يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله.

لكن أكثرهم حباً لله ورسوله وأكثر من يحبه الله ورسوله هو الإمام علي.

هكذا يفهم الحديث أنه الأكثر حباً لله ورسوله وأكثر من يحبه الله ورسوله.

وإلا لكان الحديث مفرغاً من مضمونه.

ولذا قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه... ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا... ﴾.

فإذا قرأنا فضيلة الإمام علي: «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

فإن مصداقها من القرآن: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه... ﴾.

وإذا سمعنا حديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وجدنا سياق الآية الأولى توضح أن أولى المقصودين بالولاية هو الإمام علي: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا....﴾ التي تلت قول الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم...﴾.

ولا نحتاج إلى الاستدلال بقصة التصدق بالخاتم وهو راكع، فسواءً صحت أم لم تصح فالاستدلال بالآية قائم.

وحبّ الإمام علي ليس دعوى، بل اتباع الإمام علي هو الترجمة الحقيقية لمحبته، ومن ادعى محبة علي من غير اتباعه سواءً في قتاله للفئة الباغية أو غير ذلك؛ فما أحبه، لأن ترجمان حبُّ عليٍّ اتباع نهجه.
﴿قُل إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.
ولن يبغضه إلا منافق.

ومن المفيد الوقف على سبب بغض بعضهم للإمام علي وخاصة من الطلقاء.
سبب البغض هو ما قاله عثمان رضي الله عنه لعلي.
قال عثمان لعلي رضي الله عنهما: (ما ذنبي إن لم تحبك قريش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً كأن وجوههم سيوف الذهب) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني برقم (321).
غاية الأمر أن الإمام علي ولي المؤمنين وحبه علامة الإيمان التي كانت تميز الصحابة، وبغضه علامة على المنافقين المندسين في الصحابة، وفي صفوف التدين المغشوش.

جعل الأئمة في ذرية الإمام علي عليه السلام

من شروط الأئمة:
أولاً: أن يكون من ولد فاطمة لأنها من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.
ولم يبق لرسول الله عقب من زوجاته ولا من بناته إلا من ذرية فاطمة سيدة نساء الجنة.
فاطمة هي الوحيدة من بنات رسول الله التي لها ذرية.
فقد تزوج عثمان برقية ثم بأم كلثوم بنتي رسول الله ولم ينجب إلا ولداً، مات وهو صغير.
وتزوج أبو العاص بزينب بنت رسول الله فأنجب منها أنثى وهي أمامة.
وقد تزوج علي بأمامة بعد موت فاطمة ولم تنجب له.
ثم بعد استشهاد علي تزوج بأمامة المغيرة بن نوفل ولم تنجب له إلا طفلاً، مات في المهد وانقرض عقبها.
إذن .. لم يبق لرسول الله عقب من زوجاته ولا من بناته إلا من ذرية فاطمة سيدة نساء الجنة.
وفيها حكمة بالغة لأنه لو بقي له من ذريته الصلبيين ذكر لما ختمت النبوة ولكان هذا الابن نبياً.
قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فهو خاتم النبيين لأنه ليس أباً لأحد من الرجال، فلو كان له طفل بلغ مبلغ الرجال لكان نبياً بعد رسول الله.
ولما مات إبراهيم ابن النبي من مارية القبطية قال النبي: «لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً» أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني.
إذن .. لم تجعل له ذرية لئلا يكونوا أنبياء، وإنما لم يرزق إلا من السيدة فاطمة ليجعل في ذريته الإمامة، لا النبوة لأنه خاتم النبيين.
وبالنظر في المسافة بين ولد الابن وولد البنت في القرابة قد تفهم المسافة بين الإمامة والنبوة.
وهذا من آثار سيادة السيدة فاطمة على نساء أهل الجنة.
قَالَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ» أخرجه البخاري برقم (3624) وغيره.

ولم يقل ذلك في إحدى بناته ولا زوجاته، إنما وصفت أمها السيدة خديجة عليها السلام بالكمال.
طيب..
هذا بالنسبة لاختيار العترة من ذرية فاطمة، فلا بد أن يكون العترة التي يتمسك بها من ذرية فاطمة.

وبما أنه لا بد أن يكون من ولد فاطمة؛ أيضاً لأن زوجها الإمام علي له خصائص.
منها أن علياً كنفس رسول الله..
ففي صحيح مسلم برقم (6373) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً فَقَالَ «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»
واستدعاء الإمام علي للمباهلة؛ لأنه لا يدخل إلا في خانة: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ ﴿فَقُل تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾.
لا يليق إلا أن يدخل في وأنفسنا!
قال جابر بن عبدالله (﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ بن أبي طالب.
﴿وَأَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين: ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ فاطمة)اهـ، من تفسير ابن كثير (55/2).
ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي «أنت مني وأنا منك» أخرجه البخاري.
وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب قريشاً: «والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن إليكم رجلاً مني أو كنفسي يضرب أعناقكم، ثم أخذ بيد علي» أخرجه الطبراني.
إذن.. علي هو كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
وهي فضيلة تشير إلى مزيد قرب، فلا هو بنفس منزلة ودرجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفضل كما يصور ذلك غلاة الشيعة.
ولا هو كبقية الصحابة - في هذه الفضيلة - كما يصوره النواصب.
فيقولون هو مثل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾.
فيقولون هذه كتلك وعلي كبقية المؤمنين لا يفضل عليهم في الحديث بشيء.
فيفرغون الحديث من مضمونه ومحتواه.

فلا يبقون في الحديث أي فضيلة ولا منقبة للإمام علي، فيجعلونه كباقي الناس كأن لم يقل فيه ذلك الحديث.

مثال للتوضيح:
(عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضطجعاً في بيته كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسوى ثيابه، فدخل فتحدث فلما خرج قلت: يا رسول الله! دخل أبو بكر فلم تجلس ولم تسأله ثم دخل عمر فلم تهش ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة») أخرجه مسلم برقم (2401).
فقول رسول الله في عثمان «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».
فلو أن قائلاً قال: هذا لا يدلّ على فضيلة لعثمان لأن أبا بكر أفضل منه، فالملائكة تستحي من أبي بكر أكثر من عثمان.
لكان هذا القول تفريغاً للنص من محتواه.
ولماذا تستر رسول الله بثيابه بدخول عثمان ولم يتستر بدخول أبي بكر ولا عمر.
ولا يستلزم ذلك تفضيلا لعثمان على الشيخين، فالفضيلة لا تدل على الأفضلية.
فكذا ما نحن فيه، فقول رسول الله لعلي «أنت مني وأنا منك» فيه فضيلة ومنقبة للإمام عليه السلام حيث أنه كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرباً وقرابة وطبائعَ وأخلاقاً أكثر من أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة. ولا عجب أليس هو ثقل القرآن؟!

وبما أنه كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرباً وقرابةً وطبائعَ وأخلاقاً، إذن .. يتبين معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عز و جل جعل ذرية كل نبي في صلبه، وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب» أخرجه الطبراني وإن كان إسناده ضعيفاً لكن معناه صحيح لما مضى.
نعم، للتذكير!
أليس أبناء الإمام علي وفاطمة كأبناء رسول الله الصلبيين؟!
فلو أنه كان لرسول الله أبناءً لكانوا أنبياءً!
فمن الطبيعي المنطقي أن يكون ذرية رسول الله من الإمام علي وفاطمة أئمة.
يؤيد ذلك ويعززه..

أن المصلين في كل صلاة يسألون الله أن يصلي على النبي وعلى آله كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.
فَسِرّ تخصيصنا الصلاة والبركة على محمد وآله كما صلى على إبراهيم وآله دون أن نقول كما صليت على موسى وآله أو على نوح وآله..
لأن الله جعل في ذرية إبراهيم النبوة والكتاب.
فكذا جعل الله الإمامة وفهم الكتاب في ذرية النبي.
ولذا ندعوا للأئمة بقولنا عليه السلام حتى لا يغيب عن أذهاننا أنهم يقومون مقام الأنبياء في أقوامهم.
إذن .. نخلص إلى أن الإمامة لا بد أن تكون من نسل علي وفاطمة.
فإن قيل فإن الآل الذين نصلي عليهم في تشهد الصلاة قيل أنهم هم الأمة كلها.
فالإجابة:
أولاً.. قال ابن القيم:
(وَالقَوْل الثَّالِث أَن آله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَتْبَاعه إِلَى يَوْم القِيَامَة...
وَالقَوْل الرَّابِع أَن آله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هم الأتقياء من أمته)اهـ، جلاء الأفهام (ص: 211)
قال ابن القيم:
(وَالصَّحِيح هُوَ القَوْل الأول ويليه القَوْل الثَّانِي وَأما الثَّالِث وَالرَّابِع فضعيفان)اهـ، جلاء الأفهام (ص: 223)

ثانياً.. حتى على القول أنهم هم الأمة كلها، فإن علياً وذريته يدخلون فيه من باب الأولوية.
فهم أولى من غيرهم.
فإذا كانت ملائكة العرش تدعوا للمؤمنين التائبين وتشفع بالدعاء لمن صلح من أقاربهم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.
فتقيد الدعاء بـ: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾. يخرج من لم يكن صالحاً كابن نوح.

ولذا إذا دعت الملائكة وصلت على رسول الله فإنها تخص بالدعاء من صلح من أقاربه وخاصة أصحاب الكساء الذين دعا لهم رسول الله نفسه فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فكيف لا تدعو لهم الملائكة كلما دعت وصلت على رسول الله؟!

وتقييد ذلك بمن صلح من أقاربه يخرج من لم يكن صالحاً منهم.

فلا بد أن تكون العترة ممن صلح من ذرية الإمام علي ومن ولد فاطمة، بمعنى من ذرية الحسن أو الحسين.

فطاعة الآباء لها أثر على الأبناء.

فمن كان أبوه مسلماً ففي الغالب أن يكون الابن مسلماً.

وإن كان الأب عالماً فإن ثقافة ابنه تكون أكثر من غيره في الغالب.

ومن كان أبوه صحيحاً معافىً فالغالب أن يكون الابن كذلك.

ومن كان أبوه مريضاً عليلاً فالغالب على الابن أن يكون كذلك.

وطاعة الآباء لها أثر على الأبناء.

ومن كان أبوه نبياً فإن قابلية نفسه للإمامة تكون أكثر من غيره.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾

فلما ذكر اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران، نبّه لماذا اصطفاء الآل؟! لماذا لم يكتف باصطفاء إبراهيم حتى ضمّ إليه اصطفاء آل إبراهيم؟!: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ﴾ السبب قال: ﴿ذريةً بعضها من بعض﴾.

ولذا لما أبدت عائشة فصاحة وبلاغة في الحجة في مقام الخصام مع بعض أمهات المؤمنين قال النبي: «إنها ابنة أبي بكر» يعني أنها اكتسبت قوة الحجة والبيان من أبيها.

طِيبُ الفُرُوع مِن الأصُولِ وَلَمْ ... يُرَ فَرعٌ يَطِيبُ وأصْلُهُ الزَّقُّومُ

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فجعل النعمة على الوالدين نعمة على الابن لأنها انتقلت إليه من والديه فلزم شكرها.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾.

وامتداد النعمة من الأب إلى الابن يندرج تحت قوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ فيكون ثواباً من الله للصالح في نفسه أن يصلح ذريته.

ولذا قال الله ممتنا على سيدنا إبراهيم: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾. فكذا جعل الله في ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمامة في الدين.

والصلاة عليهم في كل صلاة فيه إشارة إلى أهمية استحضار فضلهم، وإعانتهم على هداية الأمة بالدعاء لهم؛ خاصة الإمام المهدي لأنه إمام زماننا.

مسألة: فإن قيل آل البيت كثير، فهل نقتدي بأي شخص منهم؟!
الإجابة: أن الإمامة في الدين لا تنال بمجرد النسب فحسب، بل لا بد مع النسب من الصبر واليقين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾
بل حتى سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يجعله الله إماماً إلا بعد أن وفى وأتم كلمات الابتلاء: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.
فلم يجعله الله إماماً إلا بعد أن وفى بالكلمات: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾.
فكيف بغيره؟!
ولذا آل البيت لا يكونون أئمة إلا بعد البلاء قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلاَءً وَتَشْرِيداً وَتَطْرِيداً» أخرجه ابن ماجه برقم (4082).
فمن كان من أهل البيت ولم يلق تشريداً وتطريداً وبلاءً فليس من أئمة آل البيت.
ولذا أبرز صفة من صفات أكثر آل البيت هداية وهو الإمام المهدي أنه الشريد الطريد الموتور بأبيه، وأنه يؤخذ أهله صغيرهم وكبيرهم ولا يبقى منهم أحد إلا أُخذ وحُبس.
ومن هنا تعلم أن كثيراً ممن يقف في صف الحكام والسلاطين من آل البيت كما هو حال كثير من المتصوفة.
لا يمكن بحال أن يكونوا أئمة.
فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر إن السلطان والقرآن سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب.
وأخبر أن آل البيت لا يفارقون الكتاب. إذن.. بطبيعة الحال فإنهم مفارقون للسلطان.

بل ورد في حق بعض آل البيت نصوص باستبعادهم من الإمامة ولو كان من العترة وقد جاءت مواصفات لأقوام من الآل أنهم بلاءٌ على الأمة، فلا يحتج أحد أنهم من أهل البيت.
كالشريف الحسين، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون» أخرجه أبو داود.

مسألة أخرى: فإن قيل ألا يكفي العلماء أن يكونوا أئمة إذا كان لديهم رصيدٌ من الابتلاء وحصيلة علمية، فلماذا لا يكونون أئمة؟!
الإجابة: أن العلماء ورثة الأنبياء، فهم أئمة لكن إمامتهم تدور في فلك ثقل آل البيت.
كما دار عمار بن ياسر في فلك الإمام علي.
وكما دار مؤمن آل فرعون في فلك دعوة سيدنا موسى وهارون.
وقد جاء القرآن بحديث مؤمن آل فرعون وخلده في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً﴾.
وكما دار مؤمن يس في فلك الأنبياء الثلاثة في زمانه وشغل كلامه مساحة في القرآن أكبر من مساحة كلام ثلاثة من الأنبياء: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ﴾.

وكما دار الإمام أبو حنيفة في فلك الإمام زيد بن علي..
وكما وقف الإمامان أبو حنيفة ومالك في قتال محمد بن عبدالله النفس الزكية ضد أبي جعفر المنصور.
وهكذا..
وقد قرن الله جريمة قتل الآمرين بالقسط من الناس بقتل الأنبياء تفظيعاً له فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.
فقَرَن قتل الأنبياء بقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.
ولذا ورد النص على أن من العلماء من يكون من سادات أهل الجنة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سيد الشهداء حمزة ورجل قال كلمة حق عند سلطان جائر».
وقد قرن الله الشهداء بالأنبياء في قوله: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾.
فلجسامة منزلتهم ولعظيم مكانتهم حصل الاشتباه مع العترة.
لكن الأمر كما فصلنا أن إمامتهم تدور في فلك العترة.

لكن إذا وجد في منطقة عالم ولم يوجد ثقل من العترة فإن العالم هو إمام تلك المنطقة.

وقد توجد نصوص تشير إلى أئمة من غير العترة، فنحن ملزومون باتباع تلك النصوص.
منها ما جاء في سنن أبي داود، عن علي عليه السلام يقول: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره» أخرجه أبو داود.
ولكن كل هداية لآل البيت قبل ظهور المهدي فهي هداية ليست تامة.
فهو ثقل يقرن بالقرآن، والملتوي عليه في النار، والصلاة عليه والدعاء له بالبركة واجب في تشهد كل صلاة.

العصمة

فإن قيل: وجود عالم مجتهد من العترة في كل زمان، هل يشترط فيه العصمة أم أنه يخطئ ويصيب.

الإجابة:

قال ابن حجر (اخْتِصَاص مَنْ خُصَّ بِالعِصْمَةِ بِطَرِيقِ الوُجُوبِ لَا بِطَرِيقِ الجَوَازِ فَلَا مَانِعَ أَنْ يُوجَدَ مَنْ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ عَمْداً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَاجِباً لَهُ) فتح الباري (229/9).

وقال أيضاً (العِصْمَةَ فِي حَقِّهِمْ -أي الأنبياء- بِطَرِيقِ الوُجُوبِ وَفِي حَقِّ غَيْرِهِمْ بِطَرِيقِ الجَوَازِ) فتح الباري (502/11).

وفي حديث الدعاء: «وأسألك السلامة من كل إثم».

قال المناوي: («والسلامة من كل إثم» يوجب عقاباً أو عتاباً أو نقص درجة أو غير ذلك، قال العراقي: وهذا مُصّرِّحٌ بِحِلِّ سؤال العصمة من كل ذنب.

ولا اتجاه لاستشكاله بأنها إنما هي لنبي أو مَلَك لأنها في حقهما واجبة ولغيرهما جائزة وسؤال الجائز جائز) فيض القدير (121/2).

فغير الأنبياء يمكن أن يتصفوا بالعصمة في اصطلاح العلماء.

لكن السؤال ما هي العصمة؟!

قال ابن تيمية: (الأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ عَنْ الكَبَائِرِ دُونَ الصَّغَائِرِ) مجموع الفتاوى (319/4).

وهذا كلام مبهم لا تفصيل فيه، ولا يجوز أن يلقى بعجره وبجره.

فما هو ضابط الصغائر، وما هو ضابط الكبائر، والخلاف فيه شديد حتى أن سلطان العلماء العز بن عبدالسلام احتار في الضابط الفاصل بين الكبيرة والصغيرة (قَالَ بن عبدالسَّلَامِ لَمْ أَقِفْ عَلَى ضَابِطِ الكَبِيرَةِ، يَعْنِي يَسْلَمُ مِنْ اِلاعْتِرَاضِ)اه، فتح الباري لابن حجر (184/12).

فسيدنا موسى عليه السلام ألقى الألواح.

وكون أن الله عذر سيدنا موسى ولم يعاتبه على إلقاء الألواح لأنه كان غاضباً، ليس موضوع حديثنا، إنما الموضوع عن العصمة!

لماذا لم يعصم سيدنا موسى من هذا الفعل؟!

وما نوع هذا الفعل؟!!

ارتكب سيدنا موسى أمراً فعذر ولم يعاتب لأنه كان غاضباً.

فسؤالنا: إلقاء الألواح؛ هل هو كبيرة أم صغيرة؟!، فلم يعاتبه الله على فعل هذه الصغيرة أو الكبيرة؟!!
فإن كانت صغيرة من الصغائر، كيف حددتم أنها صغيرة؟!
وإن كانت كبيرة من الكبائر، كيف عرفتم أنها كبيرة؟!
وكما قال العز ابن عبدالسلام: (لَمْ أَقِفْ عَلَى ضَابِطِ الكَبِيرَةِ).

وكذا سيدنا يونس عليه السلام ذهب مغاضباً قومَه، ولم يغاضب ربه.
فالسؤال لماذا ألقي في اليم أصلا؟!
(قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ فَفَعَلَ مَا يُلَامُ عَلَيْهِ)اهـ، مجموع الفتاوى لابن تيمية (286/10).
وقال ابن تيمية أيضاً:
(وَذُو النُّونِ شَهِدَ مَا حَصَلَ مِنْ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ الإِلَهِيَّةِ بِمَا حَصَلَ مِنْ المُغَاضَبَةِ وَكَرَاهَةِ إنْجَاءِ أُولَئِكَ، فَفِي ذَلِكَ مِنْ المُعَارَضَةِ فِي الفِعْلِ لِحُبِّ شَيْءٍ آخَرَ مَا يُوجِبُ تَجْرِيدَ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ وَتَأَلُّهِهِ لَهُ، وَأَنْ يَقُولَ: ﴿لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ﴾ فَإِنَّ قَوْلَ العَبْدِ: لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، يَمْحُو أَنْ يَتَّخِذَ إلَهَهُ هَوَاهُ. وَقَدْ رُوِيَ: «مَا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ إلَهٌ يُعبد أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٍ»، فَكَمَّلَ يُونُسُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ تَحْقِيقَ إلَهِيَّتِهِ لِلَّهِ وَمَحْوَ الهَوَى الَّذِي يُتَّخَذُ إلَهاً مِنْ دُونِهِ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ عِنْدَ تَحْقِيقِ قَوْلِهِ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ إرَادَةٌ تُزَاحِمُ إلَهِيَّةَ الحَقِّ بَل كَانَ مُخْلِصاً لِلَّهِ الدِّينَ إذْ كَانَ مِنْ أَفْضَلِ عِبَادِ اللَّهِ المُخْلِصِينَ)اهـ، مجموع الفتاوى (287/10).

فالسؤال ما زال مطروحاً، ما نوع العصمة التي تثبتونها للأنبياء؟!

أما آل البيت معصومون أن يُضِلُّوا الناس.
فلحديث الثقلين: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تَضِلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي» أخرجه أحمد والترمذي.
فكون التمسك بالعترة عصمة من الضلال دليل على عصمتهم في الخطوط العريضة للدين..
أما أفعالهم السلوكية فليسوا بأفضل من الأنبياء كما مرّ معنا أن سيدنا موسى ألقى الألواح التي كتبت فيها التوراة فتكسرت.

ثانياً.. وما يهمنا هو أن إمام العترة الإمام علياً عليه السلام، يجب اتباع نهجه وطاعته، وفهمه للنصوص هو المعتمد، فهو الوحيد ثقل آخر مع القرآن.
وأما بقية الصحابة فلم يرد فيهم أنهم ثقل مع القرآن.
فلماذا الاستماتة في إلغاء هذه الفضيلة، أو تعميمها على من لم تقل فيه؟!!!

ولو جعلتم لفهم علي من الحجية، ما جعلتم لفهم ابن تيمية، لكنتم شيعةً خُلَّصاً.

فالحمد لله الذي عافنا مما ابتلاكم به، وهدانا لولاية الإمام علي عليه السلام، ووفقنا للتشيع لولاية حفيده السيد التهامي سلام الله عليه.

التفضيل

استدل أمين جعفر بقول الذهبي غفر الله له:
(جُمُهور الأُمَّةِ عَلَى تَرَجيْحِ عُثْمَانَ عَلَى الإِمَامِ عَلِيٍّ، وَإِلَيْهِ نَذْهَبُ وَالخَطْبُ فِي ذَلِكَ يسيرٌ، وَالأَفضَلُ مِنْهُمَا - بِلاَ شكٍّ - أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، مَنْ خَالفَ فِي ذَا فَهُوَ شِيعِيٌّ جَلدٌ) سير أعلام النبلاء (76/1).
وهذا قول فيه شطط، وهو ناتج من تأثره ببيئته، فإنه لا يوجد أمرٌ أو توجيهٌ نبويٌ بتفضيل صحابيٍ على صحابي، وأن من لم يفضله فقد وقع في كبيرة من الكبائر.
ثم إن ثمرة تفضيلِ صحابيٍ على غيره من الصحابة، إنما تكون له في الآخرة.
سواءً أقرّ الناس له بذلك في الدنيا أم لم يقرّوا.
ولكن كلام أمين جعفر ونقولاته توحي بأن الشخص حتى لو رضي عن جميع الصحابة لكن لم يفاضل بينهم أو فاضل لكنه أخطأ في التفضيل، فإن حساباً في الآخرة عسيراً غير يسير ينتظره على ذلك الخطأ.
ولذا يسقط هذا القول بالآتي:
قال ابن حزم: (وروينا عَن نَحْو عشْرين من الصَّحَابَة أَن أكْرم النَّاس على رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عَليّ بن أبي طَالب وَالزُّبَيْرُ بن العَوام)اهـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (90/4).
فهل هؤلاء الصحابة على ضلالٍ مبين؟! وهل هم شيعةٌ روافض؟!
أما تفسير قول ابن حزم: (أكرم النَّاس على رَسُول الله) بمعنى الأكرم نسباً.
فالصحابة لم يختلفوا في نسب الإمام علي ولا في نسب أبي بكر ولا غيره، وإنما اختلفوا على أكرمهم على رسول الله، بمعنى أفضلهم.
يتضح ذلك أن ابن حزم بعد أن ذكر الخلاف في التفاضل بين الصحابة؛ قال:
(وَالَّذِي نقُول بِهِ وندين الله تَعَالَى عَلَيْهِ ونقطع على أَنه الحق عِنْد الله عز وَجل أَن أفضل النَّاس بعد الأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام نسَاء رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم)اهـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (91/4).
إذن .. كان حديثه عن أفضل الناس بعد الأنبياء وليس عن أكرم الناس نسباً.
ويرى ابن حزم أن أبا بكر ليس أفضل الصحابة بل أفضل الصحابة هم أم أمهات المؤمنين.
وهذا يدلّ على أن من فضّل الإمام علياً على أبي بكر فليس رافضياً ولا هم يحزنون.
هذا وإني لم أذكر ترجيحاً في مسألة التفاضل بين علي وبين أبي بكر ولا غيره.

وإنما ذكرت فضائل علي أنه ثقل القرآن وأنه المرجعية الشرعية ودللت على ذلك بالأحاديث.

و(الفضيلة لا تدل على الأفضلية) كما يقول الأصوليون.

ولست ملزماً بترجيح أفضلية أحدهما على الآخر، ولا أنكر على من فضّل أحدهما على الآخر، فالمسألة خلافية حتى بين الصحابة، والأمر واسع.

آل البيت عليهم السلام

ذكر أمين جعفر أن مظاهر الغلو في الإمام علي تذييل اسمه بقول عليه السلام.
والإجابة:
(قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ») أخرجه البخاري برقم (3370) وغيره.
قال ابن القيم: (اخْتلف فِي آل النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم على أَرْبَعَة أَقْوَال
فَقيل هم الَّذين حرمت عَلَيْهِم الصَّدَقَة...
وَالقَوْل الثَّانِي أَن آل النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هم ذُرِّيَّته وأزواجه خَاصَّة...
وَالقَوْل الثَّالِث أَن آله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَتْبَاعه إِلَى يَوْم القِيَامَة...
وَالقَوْل الرَّابِع أَن آله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هم الأتقياء من أمته)اهـ، جلاء الأفهام (ص: 211).
قال ابن القيم:
(وَالصَّحِيح هُوَ القَوْل الأول ويليه القَوْل الثَّانِي وَأما الثَّالِث وَالرَّابِع فضعيفان)اهـ، جلاء الأفهام (ص: 223).
بمعنى أن أصح الأقوال في تفسير الآل الذين نصلي ونسلم عليهم في كل تشهد هم بنو هاشم الذين حرمت عليهم الصدقة، هذا ترجيح ابن القيم.
والمتوقع أن تكون الصلاة والسلام على أئمة آل محمد كالإمام علي والحسنين أمر ليس مستغرباً وليس من مظاهر الغلو على الأقل عند ابن القيم؟!!
لكن نتفاجأ بقول ابن القيم في نفس الكتاب: (الصَّلَاة على غير النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَآله قد صَارَت شعار أهل البدع وَقد نهينَا عَن شعارهم، ذكره النَّوَوِيّ.
قلت وَمعنى ذَلِك أَن الرافضة إِذا ذكرُوا أئمتهم يصلونَ عَلَيْهِم بِأَسْمَائِهِمْ وَلَا يصلونَ على غَيرهم مِمَّن هُوَ خير مِنْهُم وَأحب إِلَى الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَيَنْبَغِي أَن يخالفوا فِي هَذَا الشعار)اهـ، جلاء الأفهام (ص: 467).
ويقصد بقوله: (وَلَا يصلونَ على غَيرهم مِمَّن هُوَ خير مِنْهُم وَأحب إِلَى الرَّسُول) أي لا يصلون على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثلاً..

وهو نفسه يقول إنما نصلي ونسلم في الصلاة على بني هاشم وليس على أبي بكر ولا عمر.

فهل تخصيص بني هاشم بالصلاة في التشهد من مظاهر الغلو!!!

وكذا قال ابن كثير تلميذ ابن القيم: (وَقَدْ غَلَبَ هَذَا فِي عِبَارَةِ كَثِيرٍ مِنَ النُّسَّاخِ لِلْكُتُبِ أن ينفرد عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنْ يُقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ دُونِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَوْ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ صَحِيحاً، لكن ينبغي أن يُسوى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ، فَالشَّيْخَانِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ)اهـ، تفسير ابن كثير (423/6).

فهل تخصيص الصلاة والسلام على بني هاشم في تشهد كل صلاة غلو من الشيعة أم غلو من رسول الله.

أم أن ابن القيم وابن كثير تأثرا ببيئتهما؟!!

وهل الصلاة والسلام على الآل البيت شعار للرافضة، أم أن ترك الصلاة والسلام على الآل من بقايا آثار بني أمية؟!!

قال الإمام الصنعاني: (حَذْف لَفْظِ الآلِ مِنْ الصَّلَاةِ كَمَا يَقَعُ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ لَيْسَ عَلَى مَا يَنْبَغِي؛ وَكُنْت سَأَلت عَنْهُ قَدِيماً، فَأُجِبْت أَنَّهُ قَدْ صَحَّ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ بِلَا رِيبَ: كَيْفِيَّةُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَهُمْ رُوَاتُهَا، وَكَأَنَّهُمْ حَذَفُوهَا خَطَأً تَقِيَّةً لَمَّا كَانَ فِي الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ مَنْ يَكْرَهُ ذِكْرَهُمْ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ عَمَلُ النَّاسِ مُتَابَعَةً مِنْ الآخِرِ لِلأَوَّلِ، فَلَا وَجْهَ لَهُ)اهـ، سبل السلام (288/1).

وتأمّل الفارق بين استغراب ابن الأمير الصنعاني من (حَذْفَ لَفْظِ الآلِ مِنْ الصَّلَاةِ)، وبين استغراب ابن كثير (أن ينفرد عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنْ يُقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لتعرف مدى تأثر كل ببيئته.

والمهم أن كل النساخ الذين درجوا على تذييل آل البيت بقول عليهم السلام، إنما انتزعوه من تخصيص بني هاشم في الصلاة والسلام عليهم في كل تشهد.

ومن رأى أن تخصيصهم بذلك غلو فيهم، فهذا ليس إلا من بقايا آثار دولة بني أمية.

من أين بدأت مخالفة المرجعية الإمام علي؟!

أولاً: بعد أن ثبت مرجعية الإمام علي بموجب ما مضى من حديث المنزلة وحديث الولاية وحديث الثقلين وغيرها، وتبين مما مضى مكانة آل البيت.
فإن مخالفة الإمام علي كمرجعية كثرت في عهد عثمان.
أما بيعة أبي بكر بدون مشورة علي فكانت كما قال عمر (فلتة وقى الله شرها).
لكن مخالفة الإمام علي كثرت في عهد عثمان.
ويحاول أمين جعفر أن يعطي عثمان معنى العصمة بدون لفظها.
وأنه لم يقع من عثمان خطأ، ولذا فقتله كان غيلةً بدون أي مقدمات كقتل الخليفة عمر، وأن القول بأن عثمان وقعت منه قضايا قُتل بسببها ليس إلا قول الرافضة المجوس.
هذه عقيد أمين جعفر!
طيب..
يعني؛ لم يكن هناك قصور في إدارة عثمان للخلافة!
أبداً!
والفتنة إنما بدأت بمقتل عثمان وليس بمقتل عمر.
وعليه فإن الباب الذي كان يمنع دخول الفتنة هو عثمان فبمقتله قامت الفتنة.
أما قبل ذلك فالأمور على ما يرام.

لكن حديثاً في صحيح مسلم سينغص صفو الجو على أمين جعفر ومن على شاكلته..
عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الفِتْنَةِ... الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ،
قَالَ: فَقُلتُ: مَا لَكَ وَلَهَا، يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً،
قَالَ: أَفَيُكْسَرُ البَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلتُ: لَا، بَل يُكْسَرُ، قَالَ: ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَداً!
قَالَ: فَقُلنَا لِحُذَيْفَةَ: هَل كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ البَابُ؟
قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثاً لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ.
قَالَ: فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ: مَنِ البَابُ؟ فَقُلنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ.
أخرجه مسلم برقم (26).

إذن .. الحديث يبين أن باب الصحابة هو عمر وليس معاوية ولا عثمان كما يحلو تخيله لأمين جعفر ومن على شاكلته.

والباب إذ كسر دخلت الفتنة!

وقد كسر الباب باستشهاد عمر رضي الله عنه، فدخلت الفتنة.

فكانت الفتنة موجودة في عهد عثمان..

أرأيتم الحقيقة المرّة التي يتهرب منها أمين جعفر ومن على شاكلته؟!

السؤال الأهم: بعدما كُسر الباب واستشهد عمر رضي الله عنه، ما هي الفتنة التي دخلت في خلافة عثمان؟!

وأيضاً:

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقص عليه رؤيا وهي:

(إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي المَنَامِ... وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَاللَّهِ لَتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم «اعْبُرْهَا».

قَالَ:... وَأَمَّا السَّبَبُ الوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فَالحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوَصَّلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ)اه، أخرجه البخاري برقم (7046).

قال ابن حجر: في تأويل الرؤيا (عُثْمَان كَاد يَنْقَطِعُ عَنِ اللَّحَاقِ بِصَاحِبَيْهِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُ مِنْ تِلكَ القَضَايَا الَّتِي أَنْكَرُوهَا فَعَبَّرَ عَنْهَا بِانْقِطَاعِ الحَبْلِ ثُمَّ وَقَعَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ فَاتَّصَلَ بِهِمْ)اه، فتح الباري لابن حجر (435/12).

كاد أن ينقطع عن صاحبيه لكنه نال الشهادة فقُتل، فكان قتله كفارة لما وقع منه، لا أنه لم يقع منه شيء!!

إذن .. هناك قضايا أنكروها عليه، وكاد بسببها أن ينقطع عن صاحبيه.

فهل هذه الرؤيا من روايات الرافضة؟!

(وعن الزهري قال: ولي عثمان، فعمل ست سنين لا ينقم عليه الناس شيئاً، وإنه لأحب إليهم من عمر، لأن عمر كان شديداً عليهم، فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم، ثم إنه توانى في أمرهم، واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر...) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (432/3).

فهل الزهري رافضي؟!!

قال ابن تيمية (كَانَتْ خِلَافَةُ عُثْمَانَ هَادِيَةً مَهْدِيَّةً سَاكِنَةً، وَالْأُمَّةُ فِيهَا مُتَّفِقَةٌ، وَكَانَتْ سِتَّ سِنِينَ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ عَلَيْهِ شَيْئاً، ثُمَّ أَنْكَرُوا أَشْيَاءَ فِي السِّتِّ البَاقِيَةِ)اهـ، منهاج السنة النبوية (234/8).
فهل ابن تيمية رافضي؟!!

في صحيح البخاري؟
نعم، في صحيح البخاري.
(قَالَ عُبَيْدُاللَّهِ بن عدي لعثمان: قَدْ ((أَكْثَرَ النَّاسُ)) فِي شَأْنِ الوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، فَحَقٌّ عَلَيْكَ أَنْ تُقِيمَ عَلَيْهِ الحَدَّ، ...
فقال عثمان: فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِالحَقِّ، قَالَ: فَجَلَدَ الوَلِيدَ أَرْبَعِينَ جلدَةً، وَأَمَرَ عَلِيّاً أَنْ يَجْلِدَهُ، وَكَانَ هُوَ يَجْلِدُهُ) أخرجه البخاري برقم (3872).
والحديث في مسلم أيضاً.
قال عبيدالله بن عدي: شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأُتِيَ بِالوَلِيدِ قَدْ صَلَّى الصُّبْحَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ؟، فَشَهِدَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا حُمْرَانُ أَنَّهُ شَرِبَ الخَمْرَ، وَشَهِدَ آخَرُ أَنَّهُ رَآهُ يَتَقَيَّأُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّهُ لَمْ يَتَقَيَّأْ حَتَّى شَرِبَهَا... أخرجه مسلم برقم (1707/38)
قال ابن حجر في شرح الحديث (حَدِيث عبيدالله بن عدي بن الخِيَار أَنه كلم عُثْمَان فِي أَمر الوَلِيد، هُوَ ابن عقبَة بن أبي معيط كَانَ أَمِير الكُوفَة فَشَهِدُوا عَلَيْهِ أَنه شرب الخمر فَطَلَبه عُثْمَان إِلَى المَدِينَة فَلَمَّا ثَبت عَلَيْهِ عِنْده ذَلِك أَقَامَ عَلَيْهِ الحَد)اهـ، فتح الباري (300/1).
وقال ابن حجر (قوله (وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيمَا فَعَلَ بِهِ) أَيْ مِنْ تَرْكِهِ إِقَامَةَ الحَدِّ عَلَيْهِ وَإِنْكَارِهِمْ عَلَيْهِ عَزْلَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ بِهِ مَعَ كَوْنِ سَعْدٍ أَحَدَ العَشَرَةِ وَمِنْ أَهْلِ الشُّورَى وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الفَضْلِ وَالسُّنِّ وَالعِلمِ وَالدِّينِ وَالسَّبْقِ إِلَى الإِسْلَامِ مَا لَمْ يَتَّفِقْ شَيْءٌ مِنْهُ لِلوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ)اهـ، فتح الباري (56/7).
فأنت ترى أن ابن حجر يوضح أن النقمة على عثمان ليس لمجرد عزله سعداً.
فقد عزل عمر بن الخطاب سعداً.
لكن عمر لم يعزل سعداً ليولي أحد قرابته بل ولى بدلاً عنه عمار بن ياسر.
وأما عثمان فقد عزل سعداً ليولي بديلاً عنه أخاه الوليد بن عقبة الفاسق.
وقال ابن حجر: (وَإِنَّمَا أَخَّرَ إِقَامَةَ الحَدِّ عَلَيْهِ لِيَكْشِفَ عَنْ حَالِ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فَلَمَّا وَضَحَ لَهُ الأَمْرُ أَمَرَ بِإِقَامَةِ الحَدِّ عَلَيْهِ)اهـ، فتح الباري (56/7)

فنسأل أمين جعفر، هل عزل سعدِ بن أبي وقاص وتولية عثمان لأخيه من أمه؛ الوليد بن عقبة والياً على الكوفة، والوليد يشرب الخمر حتى وصل الأمرُ إلى أن صلى بهم الفجر وهو سكران، ثم يتأخر عثمان عن إقامة الحدّ حتى يُكثِر الناس القول في ذلك..
هل هذا أمر طبيعي جداً؟!

أمين جعفر له ارتباط بالجمعيات التي تُعنى ببناء المساجد.
فلو أن الجمعية بنت مسجداً ورشحت إماماً صلى بالناس الفجر وهو سكران.
فما موقف الجمعية؟!
فكيف إذا كان الأمر لم ينته إلى إمامة صلاة في مسجد بل ولاية الكوفة، والصلاة بالصحابة وفيهم عبدالله بن مسعود.
قال ابن تيمية: (كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي خَلفَ الحَجَّاجِ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ يُصَلُّونَ خَلفَ الوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَكَانَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حَتَّى أَنَّهُ صَلَّى بِهِمْ مَرَّةً الصُّبْحَ أَرْبَعاً ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا زِلنَا مَعَك مُنْذُ اليَوْم فِي زِيَادَةٍ وَلِهَذَا رَفَعُوهُ إلَى عُثْمَانَ)اهـ، مجموع الفتاوى (353/23).
فأثبت ابن تيمية أن الفاسق صلى بهم الفجر وهو سكران فما الداعي لإنكار ذلك؟!!

وهل كان هذا الأمر ليقع في عهد أبي بكر وعمر؟!

قال ابن كثير في تفسيره:
(وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي كِتَابِ الفُكَاهَةِ، أَنَّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اسْتَعْمَلَ النُّعْمَانَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ نَضْلَةَ عَلَى مَيْسَانَ مِنْ أرض البصرة، وكان يقول الشعر، فقال:

أَلَا هَـــل أَتَى الحَسْـــنَاءَ أَنَّ حَلِيلَهَـــا ... بِمَيْسَـــانَ يُســقَى فِي زُجَــاجٍ وَحَنْــتَمِ
إِذَا شــئْتُ غَنَّتْــنِي دَهَــاقِينُ قَرْيَــةٍ ... وَرَقَّاصَــةٌ تَجْــذُو عَــلَى كُــلِّ مَنْسَــمِ
فَـإِنْ كُنْـتَ نُـدْمَانِي فَبِـالأَكْبَرِ اسْـقِنِي ... وَلَا تَسْـــقِنِي بالأصـــغر المتـــثلم
لعـــل أمـــير المـــؤمنين يســـوؤه ... تَنَادُمُنَـــا بِالجَوْسَـــقِ المُتَهَـــدِّمِ

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَمِير المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: إي والله إنه ليسوؤني ذَلِكَ، وَمَنْ لَقِيَهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ عَزَلْتُهُ، وكتب إليه عمر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ

الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ -أما بعد- قد بلغني قولك:

لعــل أمــير المــؤمنين يســوؤه   تَنَادُمُنَــا بِالجَوْسَــقِ المُتَهَــدِّمِ

وأيم الله إنه ليسوؤني وَقَدْ عَزَلْتُكَ.
فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بَكَّتَهُ بهذا الشعر.
فقال: والله يا أمير المُؤْمِنِينَ مَا شَرِبْتُهَا قَطُّ، وَمَا ذَاكَ الشِّعْرُ إِلَّا شَيْءٌ طَفَحَ عَلَى لِسَانِي.
فَقَالَ عُمَرُ: أَظُنُّ ذَلِكَ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَعْمَل لِي عملاً أَبَداً وَقَدْ قُلتَ مَا قُلتَ)اه، تفسير ابن كثير (158/6).
فعمر يعزل الوالي بمجرد شعر طفح على لسانه أنه يشرب الخمر.
وعثمان لا يعزل الوالي إلا بعد أن يصلي بهم الفجر وهو سكران.

فهل دخلت الفتنة في عهد عثمان أم لم تدخل يا أمين جعفر؟!

وهذه قضية واحدة مما أُنكر على عثمان.
ولذلك اختلف عليٌ مع عثمان في شأن تولية أقاربه.
قال ابن تيمية: (كَانَتْ خِلَافَةُ عُثْمَانَ هَادِيَةً مَهْدِيَّةً سَاكِنَةً، وَالأُمَّةُ فِيهَا مُتَّفِقَةٌ، وَكَانَتْ سِتَّ سِنِينَ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ عَلَيْهِ شَيْئاً، ثُمَّ أَنْكَرُوا أَشْيَاءَ فِي السِّتِّ البَاقِيَةِ)اه، منهاج السنة النبوية (234/8).

وقفة:
مع ترجمة ابن الوزير لعقبة بن أبي معيط:
(نصوص أئمة الحديث على فسق الوليد نصوصاً صريحة.
قال إمام أهل الحديث أبو عمر بن عبدالبرّ في كتاب (الاستيعاب في معرفة الصحابة) وقد ذكر الوليد ما لفظه (له أخبار فيها نكارة وشناعة تقطع على سوء حاله وقبح فعاله).
وحُكي عن أبي عبيدة والأصمعي، وابن الكلبيّ، وغيرهم: أنّهم كانوا يقولون: كان الوليد شرّيب خمر فاسقاً.
وقال ابن عبدالبرّ -بعد ذكر هذه الأمور-: (إنّ الوليد لم يرو سُنّة يحتاج فيها إليه).

قال أبو عمر بن عبدالبرّ: (وقوله: أزيدكم -إذ صلّى الصّبح أربعاً- مشهور من رواية الثّقات، من نقل أهل الحديث، وأهل الأخبار). ثمّ ذكر ما روي من أنّه تعصّب عليه قوم من أهل الكوفة بغياً وحسداً وشهدوا زوراً أنّه تقيّأ الخمر، وذكر القصّة، ثمّ قال: (هذا لا يصحّ عند أهل الحديث، ولا له عند أهل العلم أصل)، يعني أنّ قوماً شهدوا عليه بذلك زوراً.

ثمّ ذكر الرّوايات الصّحيحة عند أهل الحديث في ذلك، وذكر القصّة التي في (صحيح مسلم) وغيره وقيام الشّهادة العادلة على شربه، وأمر علي وعثمان -رضي الله عنهما- بجلده.

وكذلك ذكر الحافظ الكبير أبو عبدالله محمد بن أحمد الذّهبي في كتاب (النّبلاء): أنّ الوليد كان يشرب الخمر وحُدّ على شربها، وروى من شعره فيها.

قال: وهو الذي صلّى بأصحابه الفجر أربعاً وهو سكران، ثمّ التفت إليهم، وقال: أزيدكم، وقال لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: أنا أحدّ منك سناناً، وأذرب لساناً، وأشجع منك جناناً، فقال له: اسكت، فإنّما أنت فاسق، فنزلت: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة:18]. رواه الذّهبيّ، وقال: (إسناد قوي).

وقال إمام أهل السّنة أحمد بن محمد بن حنبل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنع أن يمسّ الوليد أو يدعو له، ومُنع بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم لسابق علمه فيه، ذكر هذا الإمام أحمد حين روى الآتي ذكره.

وذكر الواحدي في (أسباب النّزول) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:6]. أنّه الوليد ولم يذكر غيره. وروى حديثين في الاستدلال على أنّه الوليد، ولم يذكروا سواه مع توسّع بعضهم في النّقل.

(وقال أبو عمر بن عبدالبرّ في (الاستيعاب) ما لفظه: (ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أنّ هذه الآية نزلت في الوليد، وروى إمام المحدّثين مسلم بن الحجّاج في صحيحه الذي اتفق أهل الحديث على صحّته أن الوليد شرب الخمر، وقامت الشّهادة عليه بذلك)اهـ، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم لابن الوزير (250/1).

فهذه ترجمة ابن الوزير للوليد بن عقبة، فهل ابن الوزير رافضي أم ماذا؟!!

وهل كان عزل سعد بن أبي وقاص وتولية الوليد بن عقبة عملاً صحيحاً من عثمان أم هو من أخطائه؟!!

أمين جعفر ومدرسته ينكرون أخطاءً وقع فيها الصحابة وهي موجودة في الصحيحين.

فلا شك أن إنكارهم لما لم يرد في الصحيحين أكثر مهما كان صحيحاً.

وما ورد في تأريخ ابن شبة..

(عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: تَذَاكَرْنَا أَمْرَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ عبداللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَمِنَّا العَاذِرُ لَهُ، وَمِنَّا اللَّائِمُ، فَقَالَ عبداللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "مَا سَمِعْتُ مِنْ أَبِي أَمْراً قَطُّ يَعْذِرُهُ فِيهِ وَلَا يَلُومُهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ أَذْكُرَ عِنْدَهُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَأَهْجِمَ عَلَى مَا لَا يُوَافِقُهُ فَأَنَا عِنْدَهُ لَيْلَةً نَتَعَشَّى فَقِيلَ: هَذَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ يَسْتَأْذِنُ بِالبَابِ، فَأَذِنَ لَهُ وَوَسَّعَ لَهُ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَأَصَابَ مِنَ العِشَاءِ حَتَّى رَفَعَ، قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَثَبَتَ، فَحَمِدَ اللَّهَ عُثْمَانُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ جِئْتُكَ أَسْتَعْذِرُكَ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ عَلِيٍّ، سَبَّنِي وَشَهَّرَ أَمْرِي، وَقَطَعَ رَحِمِي، وَطَعَنَ فِي دِينِي، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكُمْ يَا بَنِي عبدالمُطَّلِبِ، إِنْ كَانَ لَكُمْ حَقٌّ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ غُلِبْتُمْ عَلَيْهِ، فَقَدْ تَرَكْتُمُوهُ فِي يَدَيْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ رَحِماً مِنْهُ، وَمَا لُمْتُ مِنْكُمْ أَحَداً إِلَّا عَلِيّاً، وَلَقَدْ دُعِيتُ أَنْ أَبْسُطَ عَلَيْهِ فَتَرَكْتُهُ لِلَّهِ وَالرَّحِمِ، وَأَنَا أَخَافُ أَلَّا يَتْرُكَنِي فَلَا أَتْرُكُهُ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "فَحَمِدَ أَبِي اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ أُخْتِي، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَلِيّاً لِنَفْسِكَ فَإِنِّي لَا أَحْمَدُكَ لِعَلِيٍّ، وَمَا عَلِيٌّ وَحْدَهُ قَالَ فِيكَ، بَل غَيْرُهُ، فَلَوْ أَنَّكَ اتَّهَمْتَ نَفْسَكَ لِلنَّاسِ اتَّهَمَ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ لَكَ، وَلَوْ أَنَّكَ نَزَلتَ مِمَّا رَقِيتَ وَارْتَقَوْا مِمَّا نَزَلُوا فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَأَخَذُوا مِنْكَ مَا كَانَ بِذَلِكَ بَأْسٌ"، قَالَ عُثْمَانُ: «فَذَلِكَ إِلَيْكَ يَا خَالُ، وَأَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ: «أَفَأَذْكُرُ لَهُمْ ذَلِكَ عَنْكَ؟» قَالَ: «نَعَمْ»، وَانْصَرَفَ، فَمَا لَبِثْنَا أَنْ قِيلَ: هَذَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ قَدْ رَجَعَ بِالبَابِ قَالَ أَبِي: "ائْذَنُوا لَهُ، فَدَخَلَ فَقَامَ قَائِماً وَلَمْ يَجْلِسْ، وَقَالَ: لَا تَعْجَل يَا خَالُ حَتَّى أُوذِنَكَ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا مَرْوَانُ بْنُ الحَكَمِ كَانَ جَالِساً بِالبَابِ يَنْتَظِرُهُ حَتَّى خَرَجَ، فَهُوَ الَّذِي ثَنَاهُ عَنْ رَأْيِهِ الأَوَّلِ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي وَقَالَ: يَا بُنَيَّ مَا إِلَى هَذَا مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ حَتَّى نَرَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْبِقْ بِي مَا لَا خَيْرَ لِي فِي إِدْرَاكِهِ، فَمَا مَرَّتْ جُمُعَةٌ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ" تاريخ المدينة لابن شبة (1047/3).

وعمَرُ بنُ شَبَّةَ ليس رافضياً حتى يورد مثل هذا وإنما قال عنه الذهبي (العَلاَّمَةُ الأَخْبَارِيُّ، الحَافِظُ، الحُجَّةُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، ... صَنَّفَ تَارِيْخاً كَبِيْراً للبصرَةِ لَمْ نرَهُ، وَكِتَاباً فِي (أَخْبَارِ المَدِيْنَةِ)، رَأَيْتُ نصفَهُ يقضِي بِإِمَامَتِهِ)اهـ، سير أعلام النبلاء (371/12).

قالوا: إن كان عثمان وقع في كل هذه الأخطاء، أليس في بيعة علي لعثمان، إضلالاً للناس؟!

فالإجابة:
أولاً (قال عمر: إن الناس لن يعدوكم أيها الثلاثة فإن كنت يا عثمان في شيء من أمر الناس فاتق الله ولا تحملن بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس.
وإن كنت يا علي فاتق الله ولا تحملن بني هاشم على رقاب الناس.
وإن كنت يا عبدالرحمن فاتق الله ولا تحملن أقاربك على رقاب الناس) فتح الباري (196/13).
ولما بايع عثمان بايع على أساس أن عثمان سيسير سيرة الشيخين.
(فَقَالَ عبدالرحمن بن عوف لعثمان: أُبَايِعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ) أخرجه البخاري (7207).
وفي رواية (فَقَالَ -أي عبد الرحمن بن عوف-: هَل أَنْتَ يَا عَلِيُّ مُبَايِعِي إِنْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الأَمْرَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَسُنَّةِ المَاضِينَ قَبْلُ.
قَالَ: لَا، وَلَكِنْ عَلَى طَاقَتِي.
فَأَعَادَهَا ثَلَاثاً فَقَالَ عُثْمَانُ أَنَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أُبَايِعُكَ عَلَى ذَلِكَ قَالَهَا ثَلَاثاً)اهـ، فتح الباري لابن حجر (198/13).
فبيعة الإمام علي لعثمان على أن يتحرى سنة الشيخين وعلى أن لا يولي قرابته على رقاب الناس.
وفعلاً قال ابن تيمية: (كَانَتْ خِلَافَةُ عُثْمَانَ هَادِيَةً مَهْدِيَّةً سَاكِنَةً، وَالأُمَّةُ فِيهَا مُتَّفِقَةٌ، وَكَانَتْ سِتَّ سِنِينَ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ عَلَيْهِ شَيْئاً، ثُمَّ أَنْكَرُوا أَشْيَاءَ فِي السِّتِّ البَاقِيَةِ)اهـ، منهاج السنة النبوية (234/8).
ومما أُنكِر على عثمان تركه سنة عمر.
(عن شقيق قال: لقي عبدالرحمن بن عوف الوليدَ بن عقبة.
فقال له الوليد: مالي أراك قد جفوتَ أمير المؤمنين عثمان؟
فقال له عبدالرحمن: أبْلِغْه أني لم أفرَّ يوم أحدٍ، ولم أتخلف يوم بدَر، ولم أترك سنة عمر.
قال: فانطلق فخَّبر ذلك عثمان.
فقال: أما قوله إني لم أفر يوم أحد فكيف يعيرني بذنب وقد عفا الله عنه؟! فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.
وأما قوله إني تخلفت يوم بدرٍ فإني كنت أُمَرِّض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين ماتت، وقد ضرب لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسهمي، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسهمه فقد شهد.

وأما قوله إني لم أترك سنة عمر فإني لا أطيقها ولا هو، فأته فحدِّثه بذلك)اهـ، أخرجه أحمد برقم (490)، وصححه أحمد شاكر.
أما سنة عمر فقد طاقها عثمان ست سنوات، ثم لما كبُر سنه لم يطقها.
ومن سنة عمر أيضاً التقاعد إذا ضعف عن القيام بأعباء الخلافة فلما بلغ عمر بداية الستينات من عمره دعا قائلا: ((اللّهمّ كَبُرَتْ سِنِّي، وضعفُتْ قوْتي، وانتشرت رعيَّتي، فاقبضْني إليك غير مُضَيّعٍ ولا مُفَرّط) فما انْسَلَخَ ذو الحجّة حتّى طُعِن فمات)اهـ، تاريخ الإسلام للذهبي (276/3).
هذا وعمر في مطلع الستين من عمره.
فكيف وقد كان سِن عثمان يزحف في الثمانينات، لذا دفع حياته شهادة كفارة عن أخطائه رضي الله عنه.

فبيعة الإمام علي لعثمان كانت عصمةً من الضلال فاستقام أمر الدين والدنيا.
ثم لما تغيرت سياسة عثمان، عارضه الإمام علي، وكانت معارضةُ عليٍ عصمة من الضلال في أمر الدين، فمن قلد علياً فلقي الله لقيه وقد أدى ما عليه.
قال الرازي: (وَمَنِ اقْتَدَى فِي دِينِهِ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ أَدِرِ الحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ حَيْثُ دَارَ»). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (180/1).

وقد ولى رسول الله رجلاً ثم تراجع فرجعوا ولم يمضوا لأمره.
قال الراوي: (مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا لَامَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعَجَزْتُمْ إِذْ بَعَثْتُ رَجُلاً، فَلَمْ يَمْضِ لِأَمْرِي أَنْ تَجْعَلُوا مَكَانَهُ مَنْ يَمْضِي لِأَمْرِي؟») أخرجه أحمد (17007)، وأبو داود (2627).
فتولية رسول الله لشخص ثم تَرَاجُعُ هذا الشخصِ؛ لا تقدح في رسول الله، وعلى الناس أن يقيموا رجلاً مقامه، وتنتهي المشكلة.
فإذا كان هذا في رسول الله؛ ففي الإمام علي كذلك.
فالإمام علي بايع عثمان، واستمرّ أمر عثمان مستقيماً ست سنوات، فلما تغيرت سياسته عارضه في سياسته، وكان ينهى عن قتله أو عزله إنما كان يدعو لإصلاح سياسته.
والإمام علي عندما يبايع شخصاً لا يعني أن هذا الشخص قد اكتسب العصمة لأن علياً بايعه، إنما يجعله تحت الرقابة.
وهذا شيء بديهي!

ونختم الباب بقول الشيخ الألباني رحمه الله في حديث:
عبدالله بن عمرو قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليلحقني.
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن عنده «لَيدخُلنَّ عليكُم رجلٌ لَعِينٌ». قال: فوالله! ما زلت وجلاً أتشوَّف داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان يعني: الحكم بن أبي العاصي. أخرجه أحمد.
وعن عبدالله بن الزبير يقول -وهو مستند إلى الكعبة-: وربّ هذا البيت! لقد لعن الله الحكم -وما ولد- على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. أخرجه أحمد.

قلت -والقائل هو الألباني-: وهو إسناد صحيح أيضاً، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين... ولذلك لم يسع الحافظ الذهبي -مع تحفظه الذي سأذكره- إلا أن يصرِّح في "تاريخ الإسلام" (57/2) بقوله: "إسناده صحيح". وسكت عنه في "السير" (108/2)؛ ولم يعزه لأحد!
ثم خاض الألباني في طرق الحديث إلى أن قال: وهذه الطريق كالطريق الأولى؛ سكت عنها الذهبي في "التاريخ"!
هذا؛ وإني لأعجب أشدّ العجب من تواطؤ بعض الحفاظ المترجمين لـ (الحكم)، على عدم سوق بعض هذه الأحاديث وبيان صحتها في ترجمته، أهي رهبة الصحبة، وكونه عمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهم المعروفون بأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم؟! أم هي ظروف سياسية أو شعبية كانت تحول بينهم وبين ما كانوا يريدون التصريح به من الحق؟!
فهذا مثلاً ابن الأثير يقول في "أسد الغابة":
(وقد روي في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة، لا حاجة إلى ذكرها، إلا أن الأمر المقطوع به: أن النبي صلى الله عليه وسلم -مع حلمه وإغضائه على ما يكره- ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم).
ومثل هذا التلون أو التناقض مما يفسح المجال لأهل الأهواء أن يأخذوا منه ما يناسب أهواءهم! نسأل الله السلامة.
سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (723/7 - 724).

فهذا الألباني شيخ السلفية في زمانه يتعجب من تكتم الذهبي وابن حجر عن الإفصاح عن رجل لعنه رسول الله وهو الحكم والد مروان بن الحكم.
فيقول (أهي رهبة الصحبة، وكونه عمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه؟!، ...).

ولم يعذرهما الألباني باشتباه حال الأسانيد عليهما، لأنه محدث يعلم متى يكون الاشتباه في صحة الإسناد، ومتى يكون السكوت تحرجا فيتساءل (أهي رهبة الصحبة، وكونه عمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه؟!، ...).

فإذا كان هذا حال الذهبي وابن حجر في تسترهم على رجل لعنه رسول الله، فكيف بالمنافقين الذين ظهر نفاقهم فيما بعد؟!

قال الألباني: (أهي رهبة الصحبة، وكونه عمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه؟!).

وإن كان عم عثمان فكان ماذا؟!

ألم يخلد القرآن ذم عم رسول الله، أبي لهب؟!

ومتى كان عم عثمان أكرم من عم رسول الله؟!

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ(2)﴾.

(أهي رهبة الصحبة، وكونه عمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه؟!).

كلمة غاية في الأهمية، وهي مفتاح لفهم العقلية التي تفكر بها المدرسة التي تخرج منها أمين جعفر وأمثاله.

وإذا كان هذا تهيبهم من عم عثمان فكيف تهيبهم من ذكر أخطاء عثمان نفسه؟!

الصحابي من لم يبدل أو يغير!

استنكر أمين جعفر إضافة قيد في تعريف الصحابي؛ أنه من لم يبدل أو يغير.
وقال أمين جعفر: إن هذا الشرط محدث مبتدع.
وكأن التعريفات والمصطلحات وردت فيها نصوص من المعصوم.
وما دام أنه حريص على إبقاء مصطلحات ابتدعها العلماء، فكان حرياً أن يكون أشدّ حرصاً على الدين من أن يُغير أو يُبدل.
إلا أن إنكاره إضافة شرط (أن الصحابي هو من لم يبدل ولم يغير) تفيد أن الصحابي ما دام أنه صحب رسول الله إذن .. فليغير وليبدل كيفما شاء!
فحرصه على عدم تغيير مصطلحات العلماء أشدّ من حرصه على عدم تغيير سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم!

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]

ما شاء الله، هذا هو التحقيق والتدقيق!
أما حديث النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ...
فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» أخرجه البخاري ومسلم.
فهذا الحديث لا قيمة له، ما دام أننا لم نجد عليه آباءنا ومشايخنا!
عجيب!
أهذا هو الإجلال لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!
لكن .. فعلاً إذا لم تستح فاصنع ما شئت!
فعلاً؛ قلة حياء!

الصحابة هم

المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان

يستبدّ الضحك بالغبي أمين جعفر؛ كيف جعل الإمام الحودلي عليه السلام التابعين لهم بإحسان من أصناف الصحابة؟!

وكـم مــن عائــب قــولاً صــحيحاً وآفتـــه مـــن الفهـــم الســـقيم

وللتوضيح..
فالصحابة هم "السابقون الأولون" من المهاجرين والأنصار وهم الذين مدحهم القرآن.
أما من صحب رسول الله ولم يكن من "السابقين الأولين" من المهاجرين، والأنصار الذين نصروا الدين..
فهو صحابي يشترط عليه أن يتبع "السابقين الأولين" من المهاجرين والأنصار بإحسان.
فمثلاً عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهما، ليسوا من المهاجرين وليسوا من الأنصار ولكنهم صحبوا رسول الله.
فهم صحابة يشترط عليهم أن يتبعوا المهاجرين والأنصار بإحسان.
لكن أمين جعفر لا يريد أن يفهم هذا.
والسبب!
أن معاوية ليس من المهاجرين ولا من الأنصار ولم يتبع المهاجرين ولا الأنصار بإحسان.
بل قاتل الإمام علياً في صفين، وعلي من المهاجرين.
لذا فمعاوية لا تشمله الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].
ولذا .. فلا عجب أن يخلط أمين جعفر بين معاوية والزبير وطلحة.
فكلهم عنده صحابة قد رضي الله عنهم.
وهذا غلط فاضح.
فالزبير وطلحة وأمثالهم من "السابقين الأولين" من المهاجرين.

فلذا .. رضي الله عنهم، فمهما عملوا فإن سابقتهم تقتضي أن يكفر الله عنهم سيئاتهم بما يشاء.
«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».
فقوله «اعملوا» إشارة إلى أنهم سيقعون في أخطاء وليسوا بمعصومين، لكن الأخطاء التي يقعون فيها سيعقبها الله بما يكفرها أو بتوبة نصوح.
نظير ما وقع من مسطح بن أثاثة فهو ممن شهد بدراً، ولكنه وقع في حادثة الإفك فأقيم عليه الحدّ.
فكونه ممن شهد بدراً لا يعني أنه لن يقع في الإثم.
بل وقع في كبيرة وهي قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
فهذه ترجمة لقوله «اعملوا ما شئتم» ثم أقيم عليه الحدّ فهذه ترجمة لمعنى «فقد غفرت لكم».
طبعاً لا يظن أحد أن مسطح ليس بدرياً أو يظن أنه لم يقع في حادثة الإفك، فالحديث في البخاري برقم (2661).
نظير ذلك ما وقع من الزبير وطلحة من خروجهما على الإمام علي في معركة الجمل، فكان خطأً كفّره الله عنهما بالشهادة في سبيل الله.
وكذا عائشة رضي الله عنها تابت توبة نصوحاً حتى كانت تبّل خمارها من البكاء.
لكن أمين جعفر يعطي الصحابة معنى العصمة، إلا أنه لا يصرح بذلك.
ويحاول الخلط بين أصحاب بدر وبين مسلمة الفتح كمعاوية الذي كان واجباً عليه أن يتبع المهاجرين كالإمام علي بإحسان لا أن يقاتله في صفين.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ، وَبَيْنَ عبدالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له برقم (222).
فإذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا في حق خالد بن الوليد لما سبّ عبدالرحمن بن عوف؛ فماذا سيقول في حق معاوية وهو يقاتل، ويلعن الإمام علياً على المنابر؟!
وخالد أفضل من معاوية، بل لا مجال للمقارنة.
والإمام علي أفضل من عبدالرحمن بن عوف بدرجات.
وخالد بن الوليد ليس من "السابقين الأولين" من المهاجرين فلا تشمله الآية.

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].

فالآية قيّدت الهجرة والنصرة بالسبق لا بمطلق الهجرة.

اقرأ العبارة مرة أخرى!

فالآية قيّدت الهجرة والنصرة بالسبق لا بمطلق الهجرة؛ فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾

لذا قال الإمام القرطبي في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا﴾

(يُرِيدُ مِنْ بَعْدِ الحُدَيْبِيَةِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ. وَذَلِكَ أَنَّ الهِجْرَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كَانَتْ أَقَلَّ رُتْبَةً مِنَ الهِجْرَةِ الأُولَى.

وَالهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الصُّلحُ، وَوَضَعَتِ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا نَحْوَ عَامَيْنِ ثُمَّ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ. وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ). فَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ آمَنَ وَهَاجَرَ مِنْ بَعْدُ يُلتَحَقُ بِهِمْ)اهـ، تفسير القرطبي (58/8).

فخالد بن الوليد يدخل في (الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الصُّلحُ).

وليس هو من ((السابقين الأولين)) من المهاجرين.

ولذا قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا تسبوا أصحابي» لأن عليه أن يتبع السابقين الأولين بإحسان لا بسب.

وكذلك عمرو بن العاص هاجر مع خالد بعد صلح الحديبية، ولم يكن من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

فكان عليه أن يتبعهم بإحسان لا أن يشارك معاوية في قتال الإمام علي عليه السلام.

وإذا قال رسول الله لخالد بن الوليد لما سبّ عبدالرحمن بن عوف: «لَا تَسُبُّوا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» أخرجه البخاري ومسلم.

فماذا سيقول لمعاوية وعمرو بن العاص وهم (قاتلوا أصحابه وآل بيته)؟!!

مثال آخر للتوضيح..

أبو الغادية:

قال ابن حجر: (أبو الغادية الجهنيّ اسمه يسار ابن سبع... عن ابن معين: أبو الغادية الجهنيّ قاتِل عمار له صحبة)اهـ، الإصابة في تمييز الصحابة (258/7).

قال ابن تيمية (الذي قتل عمار بن ياسر هو أبو الغادية وقد قيل إنه من أهل بيعة الرضوان ذكر ذلك ابن حزم فنحن نشهد لعمار بالجنة ولقاتله إن كان من أهل بيعة الرضوان بالجنة)اهـ، منهاج السنة النبوية (127/6).
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قاتل عمار وسالبه في النار». أخرجه الحاكم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2008).
وقال الألباني: (وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم.
وأبو الغادية هو الجهني وهو صحابي كما أثبت ذلك جمع)
ثم قال: (ولا يمكن القول بأن أبا غادية القاتل لعمار مأجور لأنه قتله مجتهداً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قاتل عمار في النار»)اهـ، (19/5).
لماذا يرد الألباني هذا الرد؟!!
وهل هناك من يعتقد أن قاتل عمار مأجور على قتله لعمار؟!!

حتى وإن كان أبو الغادية صحابياً من أهل بيعة الرضوان فلا بد أن يتبع "السابقين الأولين" من المهاجرين والأنصار بإحسان.
فإن لم يتبعهم بإحسان بل قاتلهم فإن الله لم يرض عنه بنص الآية.
فإن زاد على ذلك بقتله عماراً، قطعنا له بالنار بموجب الحديث.
ولا يقال: اجتهد فأخطأ فله أجر على قتل عمار.
ولله در القائل:

قــالوا النواصــب قــد أخطــأ معاويــة ... في الاجتهــاد وأخطــأ فيــه صــاحبه
والعفـــو في ذاك مرجـــو لفاعلـــه ... وفي أعـــالي جنـــان الخلـــد راكبـــه
قلنــا كــذبتم فِلــمَ قــال النــبي لنــا ... «في النــار قاتــل عمــار وســالبه»؟!

الفرق بين أصحاب الجمل وأصحاب صفين

مدرسة أمين جعفر لفرط جهلهم يخلطون بين معركتي الجمل وصفين، ويظنون أن الزبير وطلحة كانا يقاتلان في معركة واحدة مع معاوية جنباً إلى جنب.
لكن الصحيح أن الزبير وطلحة وعائشة كان خطؤهم أنهم ذهبوا إلى العراق وحاولوا القصاص من قتلة عثمان، ثم جرت معركة الجمل.
بينما معاوية قاتل الإمام علياً في معركة أخرى وهي معركة صفين.
المهم..
أنه بعد استشهاد عثمان كان الإمام علي خليفة، واجب الطاعة؟!
وما فعله الزبير وطلحة وعائشة من محاولة القصاص من قتلة عثمان، بدون إذن الخليفة علي، كانت معصية للخليفة!
وكان قتلهم للذين دافعوا عن قتلة عثمان معصية للخليفة لأنها كانت بدون إذنه!
ثم قتالهم الإمام والخليفة علياً، بغيٌ منهم.
وقد وصف الإمام الشافعي أصحاب الجمل بأنهم بغاة.
و(أَنْكَرَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ عَلَى الشَّافِعِيِّ اسْتِدْلَالَهُ بِسِيرَةِ عَلِيٍّ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ الْمُتَأَوِّلِينَ، قَالَ: أَيُجْعَلُ طَلحَةُ وَالزُّبَيْرُ بُغَاةً؟!.
رَدَّ عَلَيْهِ الإِمَامُ أَحْمَد فَقَالَ: وَيْحَك وَأَيُّ شَيْءٍ يَسَعُهُ أَنْ يَضَعَ فِي هَذَا المَقَامِ:
يَعْنِي إنْ لَمْ يَقْتَدِ بِسِيرَةِ عَلِيٍّ فِي ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سُنَّةٌ مِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ)اهـ، مجموع الفتاوى لابن تيمية (438/4).
ومع كونهم بغاةً إلا أنك تجد الفرق بين أقوال الإمام علي وعمار في عائشة وطلحة والزبير.
وبين أقوال الإمام علي وعمار في معاوية ومن معه.
فمثلاً:
(لَمَّا سَارَ طَلحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى البَصْرَةِ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ فِي أَعْلاَهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّاراً، يَقُولُ: (إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاَكُمْ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ)) أخرجه البخاري برقم (7100).
تأمل قوله: (إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)!

(سمع عمار بن ياسر رجلاً ينال من عائشة، فقال له: اسكت مقبوحاً منبوحاً، فأشهد أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة) أخرجه ابن عساكر (458/43).

وقد ندمت عائشة على خطئها في الخروج، قال الألباني في حديث:

(لَمَّا أَقبَلَتْ عَائِشَةُ مَرَّتْ بِبَعْضِ مِياهِ بَنِي عَامِرٍ طَرَقَتْهُمْ لَيْلاً فَسَمِعَتْ نُبَاحَ الكِلَابِ فَقَالَتْ: أيُّ ماءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الحَوْأَبِ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً! قَالُوا: مَهْلاً يَرحَمُكِ اللَّهُ! تَقْدَمِينَ فَيَرَاكِ المُسْلِمُونَ فيُصْلِحُ اللَّهُ بِكِ! قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلابُ الحَوْأَبِ؟!» أخرجه أحمد وغيره.

قال الألباني بعد تصحيحه للرواية:

(والسني لا ينبغي له أن يغالي فيمن يحترمه حتى يرفعه إلى مصاف الأئمة الشيعة المعصومين! ولا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأً من أصله، ولذلك همّت بالرجوع حين علمت بتحقق نبوءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الحوأب، ولكن الزبير رضي الله عنه أقنعها بترك الرجوع بقوله: (عسى الله أن يصلح بك بين الناس) ولا نشك أنه كان مخطئاً في ذلك أيضاً.

والعقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى، ولا شك أن عائشة رضي الله عنها المخطئة لأسباب كثيرة وأدلة واضحة، ومنها ندمها على خروجها، وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدل على أن خطأها من الخطأ المغفور بل المأجور.

قال الإمام الزيلعي في (نصب الراية):

وقد أظهرت عائشة الندم، كما أخرجه ابن عبدالبر في (كتاب الاستيعاب):

عن ابن أبي عتيق وهو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قال:

قالت عائشة لابن عمر: يا أبا عبدالرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟.

قال: رأيت رجلاً غلب عليك -يعني ابن الزبير- فقالت: أما والله لو نهيتني ما خرجت)اهـ، السلسلة الصحيحة للألباني (854/1).

أما معاوية ومن معه فقد قال فيهم عمار، كلاماً خطيراً:

(عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: قُلتُ لِعَمَّارٍ: أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ، أَرَأْياً رَأَيْتُمُوهُ أَوْ شَيْئاً عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ؟

فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ شَيْئاً لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِن حُذَيْفَة أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقاً، فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ وَأَرْبَعَةٌ»)اهـ، أخرجه مسلم (2779).

(كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ العَقَبَةِ؟ وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ.
فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ كَمْ كَانَ أَصْحَابُ العَقَبَةِ؟
قَالَ فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ.
قَالَ: كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ القَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ.
وَأَشْهَدُ بِاللهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ.
وَعَذَرَ ثَلَاثَةً، قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ القَوْمُ،
وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ: «إِنَّ المَاءَ قَلِيلٌ، فَلَا يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ» فَوَجَدَ قَوْماً قَدْ سَبَقُوهُ، فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ. أخرجه مسلم برقم (2779).
وقوله: (وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ القَوْمُ)، وقد أرادوا اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة.
قال ابن تيمية: (نَاس مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، هَمُّوا بِأَنْ يَحُلُّوا حِزَامَ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ لِيَسْقُطَ، فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِمْ، وَكَانَ حُذَيْفَةُ قَرِيباً، فَعَرَّفَهُ بِهِمْ)اهـ، منهاج السنة النبوية (139/8).
فلماذا يذكر عمار حديث العقبة وهو في طريقه لحرب معاوية؟!!
ويذكر أن أصحاب العقبة حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وقال عَمَّار بْنَ يَاسِرٍ: (أَيُّهَا النَّاسُ، اقْصِدُوا بِنَا نَحْوَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْغُونَ دَمَ ابْنِ عَفَّانَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ قُتِلَ مَظْلُوماً، وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُهُمْ بِدَمِهِ، وَلَكِنِ القَوْمُ ذَاقُوا الدُّنْيَا فَاسْتَحَبُّوهَا وَاسْتَمْرَءُوهَا وَعَلِمُوا أَنَّ الحَقَّ إِذَا لَزِمَهُمْ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَتَمَرَّغُونَ فِيهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لِلقَوْمِ سَابِقَةٌ فِي الإِسْلَامِ يَسْتَحِقُّونَ بِهَا طَاعَةَ النَّاسِ وَالوِلَايَةَ عَلَيْهِمْ، فَخَدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ أَنْ قَالُوا: إِمَامُنَا قُتِلَ مَظْلُوماً، لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً مُلُوكاً، وَتِلكَ مَكِيدَةٌ بَلَغُوا بِهَا مَا تَرَوْنَ، وَلَوْلا هِيَ ما تبعهم من الناس رَجُلَانِ اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصُرْنَا

فَطَالَمَا نصرتَ، وَإِنْ تَجْعَل لَهُمُ الأَمْرَ فَادَّخِرْ لَهُمْ بِمَا أَحْدَثُوا فِي عِبَادِكَ العَذَابَ الأَلِيمَ)اهـ، تاريخ الطبري (39/5).
و(قَالَ عَمَّار: وَاللَّهِ مَا أَسْلَموا ولَكِنَّهُم اسْتَسْلَمُوا وأسرُّوا الكُفْر حَتَّى وَجَدُوا عَلَيْهِ أَعْوَاناً فأَظْهَروه)اهـ، تاريخ ابن أبي خيثمة برقم (4272).

ولعل هذا يفسر لنا ما (روي عن الشافعي رحمة الله عليه أنه أسرّ إلى الربيع أنّه لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد)اهـ، تاريخ أبى الفداء (288/1).

أرأيتم لماذا اشترط القرآن على من أسلم بعد السابقين الأولين أن يتبعهم بإحسان؟!!

هل تكون الرؤية كافيةً لشرط الصحبة؟

الاستدلال بحديث «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ» أخرجه مسلم برقم (2532).
استدل به بعضهم على أن كل من رأى رسول الله فقد حاز شرف الصحابة.

ولكن قد كان الصحابة يتضجرون من إطلاق الصحبة التي لا يصحبها أعمال تثبت وفاء صاحبها لحق الصحبة.

أولاً: ابن عباس.
(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَبِي صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَلَنَعْلٌ خَلِقٌ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ.
رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ)اهـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد برقم (435) (113/1).

(وَلَنَعْلٌ خَلِقٌ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ)! بمعنى لحذاءٌ بالٍ خير من أبيه الذي لم يكن وفياً لحق صحبته رسول الله!!
وهذه كلمة قاسية!!
لكن لماذا قالها ابن عباس؟!!

ثانياً: المقداد.
(جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمرّ به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله إنا لوددنا أن رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلت أعجب؛ ما قال إلا خيراً.
ثم أقبل إليه فقال: مَا يَحْمِلُ الرَّجُلَ عَلَى أَنْ يَتَمَنَّى مَحْضَراً غَيَّبَهُ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَدْرِي لَوْ شهده كيف يَكُونُ فِيهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَقْوَامٌ أَكَبَّهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ لَمْ يُجِيبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ، أَوَ لَا تَحْمَدُونَ اللَّهَ إِذْ أَخْرَجَكُمْ من بطون أمهاتكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ قَدْ كُفِيتُمُ الْبَلَاءَ بِغَيْرِكُمْ؟

لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بَعَثَ عَلَيْهَا نَبِيّاً من الأنبياء في فترة جَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِيناً أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَرَى وَالِدَهُ وَوَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ كَافِراً وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ قُفْلَ قَلبِهِ لِلإِيمَانِ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّارَ، فَلَا تَقَرُّ عَيْنُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ، وَإِنَّهَا الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾) صححه ابن كثير في تفسيره (120/6) والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2823).

فما الذي يغضب الصحابي الجليل من عبارة (طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله إنا لوددنا أن رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت)؟!!

فاستغضب، وتعجب الناس.

فهل مجرد الرؤية كافية لفضيلة الصحبة أم لا بد أن يصحبها عمل؟!!

ثالثاً: حذيفة بن اليمان.

(كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَاتَلتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟! لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ.

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ.

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيَامَةِ؟»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ القَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدّاً إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ.

قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ القَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ».

فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْماً فِي كَبِدِ القَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ القَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلبَسَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَل نَائِماً حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ». أخرجه مسلم برقم (1788).

إذن .. العبرة عند ابن عباس والمقداد وحذيفة ليست مجرد الرؤية ولا مجرد الصحبة إنما الوفاء بحق هذه الصحبة!!

وبعد هذا، فلا إشكال عندنا أن يقال إن من رأى النبي فله فضيلة الرؤية بشرط أن لا يقاتل ولا يسبّ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، بل يكون تابعاً لهم بإحسان.
أما إذا رأى رسول الله وقاتل أصحابه، فلا قيمة لصحبته ولا لرؤيته!!!

سؤال:
لماذا يجوز في مدرسة أمين جعفر الحديث عن الذين خرجوا عن الخليفة عثمان، بينما لا يجوز الحديث عن الذين خرجوا عن الخليفة علي؟!
والذين خرجوا عن الخليفة عثمان بينهم صحابة مثل عبدالرحمن بن عديس البلوي!
((4036) عبدالرحمن بن عديس البلوي صحب النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه. وكان فيمن رحل إلى عثمان حين حُصِر حتى قتل. وكان رأساً فيهم)اهـ، الطبقات الكبرى لابن سعد (352/7).
(عبدالرحمن بن عديس البلوي كان ممن بايع تحت الشجرة، قُتل في زمن معاوية وكان ممن سار إلى عثمان) معجم الصحابة للبغوي (484/4).
قال ابن عبدالبر: (عبدالرحمن بن عديس البلوي مصري، شهد الحديبية. ذكر أسد بن موسى، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، قَالَ: كان عبدالرحمن بن عديس البلوي ممن بايع تحت الشجرة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو عمر: هو كان الأمير على الجيش؛ القادمين من مصر إلى المدينة الذين حصروا عثمان وقتلوه)اهـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (840/2).

قال ابن الأثير: (عَبْدالرَّحْمَن بْن عديس بْن... وهو بلوي، لَهُ صحبة، وشهد بيعة الرضوان، وبايع فيها، وكان أمير الجيش القادم من مصر لحصر عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لما قتلوه)اهـ، أسد الغابة (469/3).
قال ابن حجر: (عبدالرحمن بن عديس... البلوي.
قال ابن سعد: صحب النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم، وسمع منه، وشهد فتح مصر، وكان فيمن سار إلى عثمان.
وقال ابن البرقيّ والبغوي وغيرهما: كان ممن بايع تحت الشجرة)اهـ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (281/4).
أسئلة لن تجد لها إجابات عند مدرسة أمين جعفر، إلا سكوت المقابر والجهل الفاضح والتعصب المقيت!
نعم، حاول بعضهم الإجابة، فقالوا: لم يكن علي خليفة ولم تنعقد له البيعة.
نعم، قالوا هذا، وبئس ما قالوا.
لكنهم رأوا أن ذلك مخرج من ضائقة سيل التساؤلات التي ترد عليهم.
قال ابن تيمية: (طَائِفَةٌ يَقُولُونَ: إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مُعَاوِيَةَ، لَكِنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ مُصِيباً فِي قِتَالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ مُصِيباً فِي قِتَالِ مُعَاوِيَةَ. وَهَؤُلَاءِ كَثِيرُونَ كَالَّذِينِ قَاتَلُوهُ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ -أَوْ جُمْهُورُهُمْ-: إِنَّ عَلِيّاً لَمْ يَكُنْ إِمَاماً مُفْتَرَضَ الطَّاعَةِ.

لِأَنَّهُ لَمْ تَثْبُتْ خِلَافَتُهُ بِنَصٍّ وَلَا إِجْمَاعٍ.
وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَهُ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِمَّنْ يَرَاهُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الحَقِّ مِنْ مُعَاوِيَةَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ مُصِيباً فِي قِتَالِهِ، لَكِنْ يَقُولُونَ مَعَ ذَلِكَ: إِنَّ الزَّمَانَ كَانَ زَمَانَ فِتْنَةٍ وَفُرْقَةٍ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِمَامُ جَمَاعَةٍ وَلَا خَلِيفَةٌ.
وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَهُ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَدِيثِ البَصْرِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَالأَنْدَلُسِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.
وَكَانَ بِالأَنْدَلُسِ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يَذْهَبُونَ إِلَى هَذَا القَوْلِ، وَيَتَرَحَّمُونَ عَلَى عَلِيٍّ، وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ، لَكِنْ لا يَقُولُونَ: خَلِيفَةً، وَإِنَّمَا الخَلِيفَة مَنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ.
وَلَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى عَلِيٍّ، وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُرَبِّعُ بِمُعَاوِيَةَ فِي خُطْبَةِ الجُمْعَةِ، فَيَذْكُرُ الثَّلَاثَةَ وَيُرَبِّعُ بِمُعَاوِيَةَ، وَلَا يَذْكُرُ عَلِيّاً، وَيَحْتَجُّونَ بِأَنَّ مُعَاوِيَةَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ بِالمُبَايَعَةِ لَمَّا بَايَعَهُ الحَسَنُ، بِخِلَافِ عَلِيٍّ فَإِنَّ المُسْلِمِينَ لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ، وَيَقُولُونَ لِهَذَا: رَبَّعْنَا بِمُعَاوِيَةَ، لَا لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ عَلِيٍّ، بَل عَلِيٌّ أَفْضَلُ مِنْهُ، كَمَا أَنَّ كَثِيراً مِنَ الصَّحَابَةِ أَفْضَلُ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا خُلَفَاءَ.
وَهَؤُلَاءِ قَدِ احْتَجَّ عَلَيْهِمُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِحَدِيثِ سَفِينَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «الخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مُلكاً»
وَقَالَ أَحْمَدُ: مَنْ لَمْ يُرَبِّعْ بِعَلِيٍّ فِي الخِلَافَةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.
وَتَكَلَّمَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ فِي أَحْمَدَ بِسَبَبِ هَذَا الكَلَامِ)اهـ، منهاج السنة النبوية (401/4).

فالأمر يدور بين أمرين إما أن يكون الإمام علي خليفة فكل ما قلناه مستقيم ولا غبار عليه.
وإما أن يكون الإمام علي ليس بخليفة وهو مخرج من حرج تلك الأسئلة و (لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِمَامُ جَمَاعَةٍ وَلَا خَلِيفَةٌ وَهَذَا القَوْلُ قَالَهُ كَثِيرٌ، مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَدِيثِ البَصْرِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَالأَنْدَلُسِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ) كما يقول ابن تيمية.
إلا أنهم كما قال الإمام أحمد كلهم (أضل من حمار أهله).
(وَقَالَ أَحْمَدُ: مَنْ لَمْ يُرَبِّعْ بِعَلِيٍّ فِي الخِلَافَةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).
الأمر الذي أغضبهم فتكلموا في الإمام أحمد. طبعاً قالوا رافضي شيعي إيراني مجوسي ومن هذه التهم الرخيصة التي تكال لحركة أنصار الإمام المهدي.

قتال الإمام علي معاوية مما امتدحه رسول الله

وللعلم والإحاطة فإن قتال الإمام علي الذي وقع في عهده ضد معاوية والخوارج أثنى عليه رسول الله وتمناه أبو بكر وعمر.

(عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ لَمَّا افْتَتَحَ مَكَّةَ، وَأَتَاهُ أُنَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا حُلَفَاؤُكَ وَقَوْمُكَ، وَإِنَّهُ قَدْ لَحِقَ بِكَ أَبْنَاؤُنَا وَأَرِقَّاؤُنَا، وَلَيْسَ بِهِمْ رَغْبَةٌ فِي الإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا فَرُّوا مِنَ العَمَلِ، فَارْدُدْهُمْ عَلَيْنَا.
فَشَاوَرَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي أَمْرِهِم.
فَقَالَ: صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللهِ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ.
فَقَالَ: «يَا عُمَرُ، مَا تَرَى؟» فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ.
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَيَبْعَثَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ رَجُلاً مِنْكُمْ، امْتَحَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلبَهُ لِلإِيمَانِ، يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ عَلَى الدِّينِ».
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟.
قَالَ: «لَا».
قَالَ عُمَرُ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟.
قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ فِي المَسْجِدِ».
قَالَ: «وَكَانَ قَدْ أَلْقَى إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا».
قَالَ: وَقَالَ عَلِيٌّ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النَّارَ») شرح مشكل الآثار (4053).
قال الطحاوي: (وَكَانَ ذَلِكَ الفَتْحُ هُوَ فَتْحَ الحُدَيْبِيَةِ المُتَقَدِّمَ لِفَتْحِ مَكَّةَ)اهـ، شرح مشكل الآثار (233/10).

رواية أخرى:
(عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: خَرَجَ عبدان إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَعْنِي يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ قَبْلَ الصُّلحِ- فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَوَالِيهم فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا خَرَجُوا إِلَيْكَ رَغْبَةً فِي دِينِكَ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا هَرَباً مِنَ الرِّقِّ. فَقَالَ نَاسٌ: صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «مَا أُرَاكُمْ تَنْتَهُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ عَلَى هَذَا». وَأَبَى

أَنْ يَرُدَّهُمْ وَقَالَ: «هُمْ عُتَقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ») أخرجه أبو داود (2700) قال الألباني في صحيح سنن أبي داود (2419) (حديث صحيح). مسند أحمد ت شاكر (151/2).

وفي رواية: («إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ»، فَاسْتَشْرَفْنَا وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ». قَالَ: فَجِئْنَا نُبَشِّرُهُ، قَالَ: وَكَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ). أخرجه أحمد برقم (11773)، وصححه الأرناؤوط في تعليقه على المسند، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (2487).

وقوله في الحديث: (فَاسْتَشْرَفْنَا وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ: «لَا») دليل على أن قتال أبي بكر وعمر في حروب الرّدة والفتوحات ليس قتالاً على التأويل، وإنما قتال على التنزيل.

وكذا قتال عثمان.

لكن قتال الإمام علي فقط هو القتال على التأويل.

والفرق بين قتال التنزيل وقتال التأويل، ما يلي:

قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» أخرجه البخاري ومسلم.

فقتال رسول للناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، سواءً قالوها إيماناً أو نفاقاً «فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

وكذا القتال من أجل إقام الصلاة أو إيتاء الزكاة يدخل في قتال التنزيل لقوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا... وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ».

سواءً أقاموا الصلاة أو آتوا الزكاة إيماناً أو نفاقاً: «فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

إذن .. القتال على التنزيل هو على الدخول في الإسلام.

وفي المقابل فالقتال على التأويل هو على الإيمان.

بدليل ما جاء في الرواية: (امْتَحَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلبَهُ لِلإِيمَانِ).

فطلبت قريش من رسول الله أن يرجع إليهم من أظهر الإسلام وليس لهم رغبةٌ فيه إنما خرجوا فراراً من الأعمال التي يزاولونها عند سادة قريش.

(يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا خَرَجُوا إِلَيْكَ رَغْبَةً فِي دِينِكَ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا هَرَباً مِنَ الرِّقِّ).

إذن .. ليسوا مؤمنين في نظر قريش، وإن أظهروا الإسلام الظاهر بألسنتهم.
(فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ بِالسَّيْفِ عَلَى الدِّينِ، قَدْ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَلَى الإِيمَانِ»).
فقوله «قَدْ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَلَى الإِيمَانِ» (وَوَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ بِإِفْرَادِ الضَّمِيرِ وَهُوَ الظَّاهِرُ). تحفة الأحوذي (149/10).
وفيه دليل أن الإمام علي سيقاتل قريشاً قتال تأويل، وهذا حصل في صفين حيث قاتل الطلقاء مع معاوية، وكانوا زعماء الفئة الباغية.
وكذا قتاله في الجمل فالزبير وطلحة وعائشة كلهم من قريش.
أما قتال الخوارج فإنه وإن كان قتال تأويلٍ أيضاً إلا أن الخوارج ليسوا من قريش!
فإذا كان القتال على التنزيل هو: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».
فإن القتال على التأويل هو (امتحان القلوب بالإيمان) وهو في غاية المناسبة فالإمام علي لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

وعليه .. فقتال عليٍ في الجمل وفي صفين وفي النهروان ممدوح مدحاً تمناه أبو بكر وعمر، وليس قتال فتنةٍ.
أما الذين لا يرون قتال عليٍ في صفين والجمل، على تأويل القرآن.
فهل هو قتال على تنزيله؟!!
أم هو قتال لا على تأويله ولا على تنزيله؟!!

وفي حديث عن الإمام علي: (أمر رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين) رواه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو يعلى وصححه الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم برقم (907). وقد مضى تصحيح الشوكاني له.
قال ابن كثير:
(وَالمُرَادُ بِالنَّاكِثِينَ يعني أهل الجمل.
وبالقاسطين أهل الشام.
وأما المارقون فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين)اهـ، البداية والنهاية (338/7).

فقتال علي امتداد لقتال رسول الله.

وامتداد طبيعي لدعوته، فكل دعوة تبدأ بتوسيع قاعدتها الجماهيرية وشعبيتها، فتدخل أعداد كبيرة في الدعوة.

ثم تأتي مرحلة غربلة الذين دخلوا هذه الدعوة.

ولذا فسورة التوبة من آخر ما نزل من القرآن، وقد بينت السورة أن أعداد المنافقين في صفوف المسلمين مهولة: (حَتَّى مَا كَادَت تدع مِنْهُم أحداً).

(قال عمر رَضِي الله عَنهُ قيل لَهُ: سُورَة التَّوْبَة قَالَ: هِيَ إِلَى العَذَاب أقرب مَا أقلعت عَن النَّاس حَتَّى مَا كَادَت تدع مِنْهُم أحداً)اهـ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (121/4).

(قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُلتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ؟ قَالَ: هِيَ الفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ: ﴿وَمِنْهُمْ...﴾، ﴿وَمِنْهُمْ... ﴾ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَمْ تُبْقِ أَحَداً مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا)اهـ، تفسير البغوي (7/4).

وهذه لفتة غاية في الأهمية!

فكيف بعد نزول سورة التوبة وبيان العدد المهول من المنافقين؟!

وبالطبع سيكون من مسلمة الفتح الذين تشربوا العداء مشوباً بطعم مرارات الهزائم والانكسار.

فكان قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدخلوا الإسلام.

ثم قتال الإمام علي على الإيمان.

فلا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

غدر الأمة بالإمام علي

الغدر هو ترك الوفاء، ومنه قول الله تعالى: ﴿فلم نغادر منهم أحداً﴾ أي فلم نترك منهم أحداً.

فالغدر ترك الوفاء، ولذا فهو يتفاوت بحسب ما ترك من الوفاء.

جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للإمام علي: «إن الأمة ستغدر بك بعدي» أخرجه الحاكم وغيره.

قال البيهقي: (فإن صح هذا فيحتمل أن يكون المراد به -والله أعلم- في خروج من خرج عليه في إمارته ثم في من قتله).

فقوله: (في خروج من خرج عليه في إمارته) كأصحاب الجمل وصفين.

(ثم في من قتله) من الخوارج.

يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ» أخرجه البخاري (447).
العجب أن ابن تيمية يحاول إخراج معاوية من الفئة الباغية.
قال ابن تيمية: (ثُمَّ «إِنَّ عَمَّاراً تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ» لَيْسَ نَصّاً فِي أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ لمعاوية وَأَصْحَابِهِ؛ بَل يُمْكِنُ أَنَّهُ أُرِيدَ بَهْ تِلكَ العِصَابَةُ الَّتِي حَمَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَتْهُ، وَهِيَ طَائِفَةٌ مِنْ العَسْكَرِ، وَمَنْ رَضِيَ بِقَتْلِ عَمَّارٍ كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَهَا)اهـ، مجموع الفتاوى (76/35).
سبحان الله، أليس معاوية هو قائد الفئة الباغية وزعيمها؟!
كيف يكون زعيم الفئة الباغية زعيماً في كل شيء إلا في قتال عمار؟!

ألم يأت قاتل عمار وطلب من معاوية جائزته؟!
(قال سمعت أبا غادية الجهني يقول حملت على عمار بن ياسر يوم صفين فدفعته فألقيته عن فرسه وسبقني إليه رجل من أهل الشام فاحتز رأسه فاختصمنا إلى معاوية في الرأس ووضعناه بين يديه، كلانا يَدَّعي قَتْله، وكلانا يطلب الجائزة على رأسِه)اهـ، تاريخ دمشق لابن عساكر (474/43).

طيب.. ما رأيكم؟
هل يعطيه معاوية جائزة على قتله أم يقول له إنك ارتكبت إثماً؟!!
لنستمع لهذه الرواية..
(بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ، يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ عبداللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لِيَطِبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْساً لِصَاحِبِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عبداللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: (كَذَا قَالَ أَبِي: يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا تُغْنِي عَنَّا مَجْنُونَكَ يَا عَمْرُو؟) أخرجه أحمد (6929).
إذن .. معاوية يصف من يُذَكِّرُهم بحديث الفئة الباغية بالجنون.
ولا يريد أن يُسْمِع قاتل عمار حديث رسول الله في من يقاتل علياً وعماراً!!
وقول ابن تيمية أن الفئة الباغية ليس معاوية، بل ربما جزءٌ من عسكر معاوية.

مع أن ابن تيمية يرى: (صِحَّةِ إِمَامَةِ عَلِيٍّ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَأَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى طَاعَتِهِ دَاعٍ إِلَى الجَنَّةِ وَالدَّاعِيَ إِلَى مُقَاتَلَتِهِ دَاعٍ إِلَى النَّارِ - وَإِنْ كَانَ مُتَأَوِّلاً) مجموع الفتاوى لابن تيمية (437/4).

فعلى قوله .. فطائفة معاوية كلها باغية!

لكن ابن تيمية يجتهد كثيراً في محاولات تبرئة معاوية وإدانة الإمام علي، لكن محاولاته كلها تبوء بالفشل.

فمن محاولاته إدانة علي وتبرأة معاوية قوله:

(لَا يَجُوزُ قِتَالُ البُغَاةِ إِلَّا أَنْ يَبْدَأُوا بِالقِتَالِ، وَأَهْلُ صِفِّينَ لَمْ يَبْدَأُوا عَلِيّاً بِقِتَالٍ). منهاج السنة النبوية (523/8).

إذن .. فعليه: علي باغٍ لأنه بدأ بقتال معاوية!

وقال ابن تيمية أيضاً:

(وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ» هُوَ خِلَافُ الوَاقِعِ....

لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، وَصَارَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَحْزَابٍ:

حِزْبٌ نَصَرَهُ وَقَاتَلَ مَعَهُ،

وَحِزْبٌ قَاتَلُوهُ،

وَحِزْبٌ خَذَلُوهُ لَمْ يُقَاتِلُوا لَا مَعَ هَؤُلَاءِ وَلَا مَعَ هَؤُلَاءِ - لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ قَاتَلُوا مَعَهُ مَنْصُورِينَ عَلَى الحِزْبَيْنِ الآخَرَيْنِ وَلَا عَلَى الكُفَّارِ.

بَل أُولَئِكَ الَّذِينَ نُصِرُوا عَلَيْهِمْ، وَصَارَ الأَمْرُ لَهُمْ)اهـ، منهاج السنة النبوية (21/7).

فتأمّل قوله أنّ (منصور من نصره، مخذول من خذله) خلاف الواقع!!!

فهل الواقع: أن من نصر الإمام علي فهو مخذول، وأن من خذل علياً فهو منصور؟!!

فلماذا يُخذل من نصر علياً؟! هل لأنه باغٍ على معاوية!!!

على العموم، لا عجب فهذا تأثير البيئة عليه، غفر الله له.

فقتال الإمام علي لمعاوية، حتى لو لم يرد فيه حديث يبين أن معاوية هو الباغي، لكانت طاعة الإمام علي واجبةً.

أولاً: لأنه إمام أهل البيت.

ثانياً: لأنه خليفة شرعي ومعاوية خارج على الخليفة الشرعي.

ثالثاً: لورود حديث أن الفئة الباغية هي معاوية.

قال ابن حجر في حديث (تقتل عمارا الفئة الباغية)

(وَفِي هَذَا الحَدِيثِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ وَفَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعَلِيٍّ وَلِعَمَّارٍ وَرَدٌّ عَلَى النَّوَاصِبِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ عَلِيّاً لَمْ يَكُنْ مُصِيباً فِي حُرُوبِهِ)اه، فتح الباري لابن حجر (543/1)

وعليه فمن قال إن علياً لم يكن مصيباً في قتاله فهو من النواصب.

(قال حُذَيْفَةُ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الخَيْرِ وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَل بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلتُ: فَمَا العِصْمَةُ مِنْهُ؟ قَالَ: «السَّيْفُ»). أخرجه أحمد (23425).

ولعله يشير إلى القتال مع الإمام علي.

وأما من رفض القتال مع الإمام علي عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي﴾.

والفئة الباغية كانت فئة معاوية، بلا شك.

والمسلم لا يخذل أخاه المسلم، فكيف بخذلان أمير المؤمنين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته». جامع الأحاديث (141/19، بترقيم الشاملة آليا).

أخرجه أحمد برقم (16415)، وأبو داود برقم (4884)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (5690).

ولذا ندم ابن عمر على تركه قتال الفئة الباغية.

قال ابن عبدالبر: (وصح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من وجوه أنه قال: ما آسى على شيءٍ، كما آسى أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي رضى الله عنه)اه، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (25/1).

وقفة: أما من قال إن معاوية لم يشق عصا الطاعة ولم يفارق الجماعة لأنه لم يبايع أصلاً؟!!

فعلى قوله .. فإن الإمام علي ليس خليفة شرعياً إلا إذا تفضل عليه معاوية طليق مكة بالبيعة!!

عندها فقط تلزم طاعة الإمام علي أما قبل ذلك فلا وألف لا، ما دام طليق مكة لم يبايع!!

فإن قالت النواصب: إن علياً خليفة على المسلمين كلهم إلا على معاوية!!

قلنا: نعم.

ولذلك تقولون إن علياً هو الذي بغى على معاوية، لأن علياً له ولاية على المهاجرين والأنصار لكن ليس له ولاية على طلقاء مكة كمعاوية.

وأما حديث: «مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ»

حتى لو كان السند موضوعاً، فمعناه في غاية الصحة.

فمن نصر علياً فسينصره الله في مواطن يحب فيها نصرته، ولا يشترط أن ينتصر في انتصاره للإمام علي.

ومن خذل علياً فسيخذله الله في مواطن يحب نصرته فيها.

فمثلاً .. رسول الله؛ منصور من نصره، مخذولٌ من خذله.

ففي معركة أحد نصره قوم وخذله المنافقون، وأنزل الله قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلكُم فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: 160].

فرسول الله محق في قتاله في معركة أحد ولا شك، ولا يشترط أن ينتصر في المعركة لأن هذا مرهون بعوامل أخرى.

ومن نصر رسول الله في أحد وأيده فيها فإن الله سينصره في مواطن أخرى، ولا يستلزم أن ينصر في معركة أحد.

ومن خذل رسول الله في معركة أحد، فإن الله سيخذله في مواطن أخرى.

فالمعنى لا غبار عليه.

وكذا الإمام علي من نصره في صفين فسينصره في مواطن أخرى، ولا يستلزم أن ينصر في معركة أحد.

وقد كان المسلمون على وشك النصر في معركة أحد لولا نزول الرماة.

وقد كان الإمام علي ومن معه على وشك الانتصار في معركة صفين لولا تخاذل القراء وانخداعهم بخديعة رفع المصاحف.

والله المستعان.

قصة الحكمين

(عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ:

«يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ حَكَمَانِ ضَالَّانِ، ضَالٌّ مَنْ تَبِعَهُمَا».

فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُوسَى، انْظُرْ لَا تَكُنْ أَحَدَهُمَا).

فَقال سويد: يَا أَبَا مُوسَى، انْظُرْ لَا تَكُنْ أَحَدَهُمَا. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وهو حديث ضعيف فهل يكون معناه صحيحاً؟!

هل الحكمان ضلا في حكمهما؟! أما كانا هاديَيْن مهديَيْن؟!

هل خَلْعُ عليٍّ، وإثبات معاوية ضلال أم هدى؟!!

وهل يوجد من تبعهما؟!

قال ابن كثير:

(كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِ تنغصت عليه الأمور، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، وَنَكَلُوا عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ أَهْلِ الشَّامِ، وَصَالُوا وَجَالُوا يَمِيناً وَشِمَالاً، زَاعِمِينَ أَنَّ الإمرة لِمُعَاوِيَةَ بِمُقْتَضَى حُكْمِ الحَكَمَيْنِ فِي خَلعِهِمَا عَلِيّاً وَتَوْلِيَةِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ خُلُوِّ الإِمْرَةِ عَنْ أَحَدٍ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الشَّام بَعْدَ التَّحْكِيمِ يُسَمُّونَ مُعَاوِيَةَ الأَمِيرَ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ أَهْلُ الشَّامِ قُوَّةً ضَعُفَ جَأْشُ أَهْلِ العِرَاقِ)اهـ، البداية والنهاية (358/7).

تأمّل قول ابن كثير: (زَاعِمِينَ أَنَّ الإمرة لِمُعَاوِيَةَ بِمُقْتَضَى حُكْمِ الحَكَمَيْنِ فِي خَلعِهِمَا عَلِيّاً وَتَوْلِيَةِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ خُلُوِّ الإِمْرَةِ عَنْ أَحَدٍ).

فالفئة الباغية تستند على حكم الحكمين في خلع عليٍّ وتولية معاوية.

وتأمّل الحديث: «يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ حَكَمَانِ ضَالَّانِ، ضَالٌّ مَنْ تَبِعَهُمَا».

بعد هذا، نقف وقفات مع قصة التحكيم!

قال ابن كثير الدمشقي تلميذ ابن تيمية فقال:

(ثُمَّ إِنَّ عَمْرَو بْنَ العَاصِ حَاوَلَ أَبَا مُوسَى عَلَى أَنْ يُقِرَّ مُعَاوِيَةَ وَحْدَهُ عَلَى النَّاسِ فَأَبَى عَلَيْهِ، ثُمَّ حَاوَلَهُ لِيَكُونَ ابْنُهُ عبداللَّهِ بْنُ عَمْرٍو هُوَ الخَلِيفَةُ، فَأَبَى أَيْضاً، وَطَلَبَ أَبُو مُوسَى مِنْ عَمْرٍو أَنْ يُوَلِّيَا عبداللَّهِ بْنَ عُمَرَ فامتنع عَمْرٌو أَيْضاً، ثُمَّ اصْطَلَحَا عَلَى أَنْ يَخْلَعَا مُعَاوِيَةَ وَعَلِيّاً وَيَتْرُكَا الأَمْرَ شُورَى بَيْنَ النَّاسِ لِيَتَّفِقُوا عَلَى مَنْ يَخْتَارُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ،

ثُمَّ جَاءَا إِلَى المَجْمَعِ الَّذِي فِيهِ النَّاسُ - وَكَانَ عَمْرٌو لَا يَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي مُوسَى بَل يُقَدِّمُهُ فِي كُلِّ الأُمُورِ أَدَباً وَإِجْلَالاً -، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى قُمْ فَأَعْلِمِ النَّاسَ بِمَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ، فَخَطَبَ أَبُو مُوسَى النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ فَلَمْ نَرَ أَمْراً أَصْلَحَ لها ولا أَلَمَّ لشعثها من رأي اتَّفَقْتُ أَنَا وَعَمْرٌو عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّا نَخْلَعُ عَلِيّاً وَمُعَاوِيَةَ وَنَتْرُكُ الأَمْرَ شُورَى، وَتَسْتَقْبِلُ الأُمَّةُ هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ عَلِيّاً وَمُعَاوِيَةَ. ثُمَّ تَنَحَّى وَجَاءَ عَمْرٌو فَقَامَ مَقَامَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هذا قد قال ما سَمِعْتُمْ، وَإِنَّهُ قَدْ خَلَعَ صَاحِبَهُ، وَإِنِّي قَدْ خلعته كَمَا خَلَعَهُ وَأُثْبِتُ صَاحِبِي مُعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ وَلِيُّ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَالطَّالِبُ بِدَمِهِ، وَهُوَ أَحَقُّ الناس بمقامه.

وكان عمرو بن العاص رأى أَنَّ تَرْكَ النَّاسِ بِلَا إِمَامٍ وَالحَالَةُ هَذِهِ يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مِمَّا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الِاخْتِلَافِ، فَأَقَرَّ مُعَاوِيَةَ لما رأى ذلك من المصلحة، وَالِاجْتِهَادُ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ.

وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا مُوسَى تكلم معه بِكَلَامٍ فِيهِ غِلْظَةٌ وَرَدَّ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ العَاصِ مِثْلَهُ)اه، البداية والنهاية (283/7).

أولاً: يبرر ابن كثير خداع عمرو لأبي موسى بأن عمرو اجتهد!

وطبعاً هو مأجور على اجتهاده أجراً واحداً إن أخطأ، وربما أنه أُجر أجرين إن أصاب فربما أصاب.

تأمّل العبارة!

(وكان عمرو بن العاص رأى أَنَّ تَرْكَ النَّاسِ بِلَا إِمَامٍ وَالحَالَةُ هَذِهِ يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مِمَّا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الِاخْتِلَافِ، فَأَقَرَّ مُعَاوِيَةَ لما رأى ذلك من المصلحة، وَالِاجْتِهَادُ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ).

بمعنى أنه ربّما أصاب وربما أخطأ فهو لا يصرح بخطئه.

والحقيقة أن عمرو بن العاص لم يخدع أبا موسى فقط، بل خدع معه ابن كثير أيضاً.

سبحان الله!

وما دام أن عَمرواً رأى أن ترك الناس بلا إمام، وأن ذلك يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف.

فلماذا لم يقرّ الإمام علياً عليه السلام؟! أما أن معاوية هو الأجدر بالخلافة؟!

ولماذا لم يتفق عمرو على ذلك مع أبي موسى قبل ذلك؟!

أليس ذلك مقتضى أمانة التحكيم؟!

ولماذا قدَّم عمرو أبا موسى أولاً لينزع علياً؟!

ليصبح الناس بلا إمام، فيخلو الجو لمعاوية؟!

المهم أن هذا القول لا يمكن أن يتفوه به أحد إلا تحت التخدير بحب عمرو ومعاوية.

وقفة:
استدلّ بعضهم على ضعف قصة الحكمين بأن معاوية كان زاهداً غاية الزهد في الرئاسة ولم يكن ينازع علياً في الحكم، فقط إنما كان يريد القصاص من قتلة عثمان.
وعليه فقصة الحكمين غير صحيحة لأنهما تفاوضا في من يلي الحكم لا في كيفية القصاص من قتلة عثمان وهو تفاوض في غير موضع النزاع.
بمعنى أن معاوية لو علم أن الحكمين كانا يتفاوضان في من يلي الحكم لأنكر عليهما وقال:
ما لكم ولهذا، أنا مقرّ معترف لعلي بالخلافة، إنما الخلاف فقط في كيفية القصاص من القتلة.
هكذا بسذاجة تضعف القصة؟!
والإجابة:
أولاً: ما دام أنه لا خلاف على خلافة علي فلماذا لم يبايع معاوية أصلاً؟!
ثانياً: إن معاوية كان يرى نفسه أحق من علي في الحكم، بل كان يرى نفسه أولى من علي ومن عمر أيضاً وكان يصرح بذلك، والحديث في صحيح البخاري برقم (4108).
عَنِ ابْنِ عُمَرَ: خَطَبَ مُعَاوِيَةُ قَالَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ، فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ، قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ لعبدالله بن عمر: فَهَلَّا أَجَبْتَهُ؟ قَالَ عبداللَّهِ: فَحَلَلْتُ حُبْوَتِي، وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الجَمْعِ، وَتَسْفِكُ الدَّمَ، وَيُحْمَلُ عَنِّي غَيْرُ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الجِنَانِ، قَالَ حَبِيبٌ: حُفِظْتَ وَعُصِمْتَ.
(وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عبدالرَّزَّاقِ عِنْدَ قَوْلِهِ فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ يُعَرِّضُ بِابْنِ عُمَرَ فَعُرِفَ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ مُنَاسَبَةُ قَوْلِ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ لِابْنِ عُمَرَ هَلَّا أَجَبْتَهُ)اهـ، فتح الباري لابن حجر (404/7).
والقصة وقعت في صفين بعد اختلاف الحكمين، قال ابن حجر: (قَوْلُهُ فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ أَيْ بَعْدَ أَنِ اخْتَلَفَ الحَكَمَانِ وَهُمَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ وَكَانَ مِنْ قِبَلِ عَلِيٍّ، وَعَمْرُو بْنُ العَاصِ وَكَانَ مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عبدالرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ فِي هَذَا الحَدِيثِ فَلَمَّا تَفَرَّقَ الحَكَمَانِ وَهُوَ يُفَسِّرُ المُرَادَ وَيُعَيِّنُ أَنَّ القِصَّةَ كَانَتْ بِصِفِّينَ) فتح الباري لابن حجر (403/7).

فمعاوية يرى نفسه أولى من عمر وابن عمر ومن علي ومن الحسن، ويصرح بذلك.
والرواية في البخاري.
(عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: صَلَّى بِنَا مُعَاوِيَةُ الجُمُعَةَ بِالنَّخِيلَةِ فِي الضُّحَى، ثُمَّ خَطَبْنَا فَقَالَ: (مَا قَاتَلْتُكُمْ لِتُصَلُّوا، وَلَا لِتَصُومُوا، وَلَا لِتَحُجُّوا، وَلَا لِتُزَكُّوا، وَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِنَّمَا قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ لَهُ كَارِهُونَ)) أخرجه ابن أبي شيبة برقم (30556).
(قال شريك في حديثه: هذا هو التهتّك) مقاتل الطالبيين (ص: 77).

فأما الروايات في كتب التأريخ:
(وقال معاوية لجرير: إن ولاني علي الشام ومصر؛ بايعته على أن لا يكون لأحد بعده على بيعة، فقال: اكتب إلى علي بما شئت، وأنا أكتب معك، فلما بلغ علياً الكتاب، قال: هذه خديعة، وقد سألني المغيرة بن شعبة أن أولي معاوية الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ ثم كتب إلى جرير بالقدوم عليه، فما قدم إلا وقد اجتمعت العساكر إلى علي، وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص -وكان معتزلا بفلسطين حين قتل عثمان- وكان عثمان قد عزله عن مصر فاعتزل بفلسطين، فكتب إليه معاوية يستدعيه ليستشيره في أموره فركب إليه فاجتمعا على حرب علي)اهـ، البداية والنهاية (137/8).

والسؤال المهم:
لماذا كان الإمام علي يرى أن عزل معاوية، أولوية تقدّم على القصاص من قتلة عثمان؟!!
ولماذا آثر علي خوض حرب ضروس ليعزل معاوية، قبل أن يسعى في محاكمة قتلة عثمان؟!!
هل بقاء معاوية عند الإمام علي أخطر من أي شيء آخر؟!!
هذا والروايات تصوب رأي الإمام علي وتؤيده، وتصف معاوية ومن معه بأنهم هم البغاة، يدعون إلى النار.
ولو كان مجرد مطالبتهم بالقصاص فلماذا هم بغاة بنص الحديث؟!
وفي المقابل لماذا لم يبايع معاوية الإمام علياً، ويطالب بالقصاص عند الخليفة؟!
وإنما رفض البيعة أصلاً.
فهل كان معاوية يشك في عدالة علي؟!

أم أن معاوية كان لا يهمه إلا أن يبقى على الشام؟!
«إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ» إنه الفطام المرير عن الملك.

وقفة أخرى:
العلامة ابن الوزير يثبت قصة الحكمين

قال العلامة ابن الوزير رحمه الله: (فإنّ أبا موسى لم يقم معاوية بل خلعه، وكان يريد أن يقيم عبدالله بن عمر بن الخطاب، وكان قد واطأ عمرو بن العاص على ذلك على ما هو مبسوط في كتب التّاريخ.
وقد اشتهر في كتب التّاريخ أنّ معاوية كتب إلى أبي موسى: (أمّا بعد، فإنّ عمرو بن العاص قد بايعني على ما أريد، وأقسم بالله لئن بايعتني على الذي بايعني لأستعملنّ أحد ابنيك على الكوفة، والآخر على البصرة، ولا يغلق دونك باب، ولا تقضى دونك حاجة، وقد كتبت إليك بخطّي فاكتب إليّ بخطّ يدك) فكتب إليه: (أما بعد فإنك كتبت إليّ في جسيم الأمّة، فماذا أقول لربي إذ ما قدمت عليه، ليس لي في ما عرضت حاجة).
وهذا يدلّ على براءته من الجرأة على الله التي اجترأ المعترض على الله في غيبته بها. فقد كان متعبداً متزهداً صوّاماً قوّاماً)اهـ، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم (289/1).
فهذا ابن الوزير يثبت القصة فما أنتم قائلون؟!!

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (وأما أهل صفين فبغيهم ظاهر لو لم يكن في ذلك إلا قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» لكان ذلك مفيداً للمطلوب ثم ليس معاوية ممن يصلح لمعارضة علي ولكنه أراد طلب الرياسة والدنيا بين قوم أغتام، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فخادعهم بأنه طالب بدم عثمان فنفق ذلك عليهم وبذلوا بين يديه دماءهم وأموالهم ونصحوا له حتى كان يقول علي لأهل العراق أنه يوّد أن يصرف العشرة منهم بواحد من أهل الشام صرف الدراهم بالدينار، وليس العجب من مثل عوام الشام إنما العجب ممن له بصيرة ودين كبعض الصحابة المائلين إليه وبعض فضلاء التابعين.
فليت شعري أي أمر اشتبه عليهم في ذلك الأمر حتى نصروا المبطلين وخذلوا المحقين وقد سمعوا قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي

تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ وسمعوا الأحاديث المتواترة في تحريم عصيان الأئمة ما لم يروا كفراً بواحاً، وسمعوا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمار أنه تقتله الفئة الباغية، ولولا عظيم قدر الصحابة ورفيع فضل خير القرون لقلت: حبّ الشرف والمال قد فتن سلف هذه الأمة كما فتن خلفها، اللهم غفرا)اهـ، وبل الغمام للشوكاني ونقله كعادته محمد صديق خان في الروضة الندية (360/2).

وإذا عرفنا أن الإمام الشوكاني يشكو متوجعاً من الذين انحرفوا إلى مذهب الرافضة فإن ما قاله هو، وما قاله ابن الوزير ليس من مذهب الرافضة في شيء، لأنهم هم يشكون من الرافضة أصلاً، فما يقولونه لا علاقة له بالرافضة، وإنما هو حق اعتقدوه.

فماذا بعد هذا؟!!

وقفة أخرى:
ابن كثير محدث بارع ومؤرخ روائي لم يسعه في علمه ولا في عقله إنكار قصة خداع عمرو بن العاص لأبي موسى في قصة التحكيم.
ورأى أن تبريره البارد أرحم من إنكار قصة فاصلة في التأريخ الإسلامي.
وتبريره فرع عن تصحيحه وقبوله للقصة.
ولو قال إن القصة لم تقع لكان عليه أن لا يكتب شيئاً في التأريخ.
فالمغفلون فقط هم الذين يحاكمون الروايات التأريخية إلى الأسانيد الحديثية.
وأما العلماء الأولون فكانوا يقرّون لأصحاب التأريخ والسير روايتهم وربما جعلوها أصح من الروايات الحديثية قال البيهقي: (وَعبارَة الشَّافِعِي فِي (الأُم): ورأيتُ متظاهراً عِنْد عَامَّة مَنْ لقيتُ مِنْ أهل العلم بالمغازي أَن رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسلم قَالَ فِي خطبَته عَام الفَتْح: «أَلا لَا وَصِيَّة لوَارث» وَلم أر بَين النَّاس فِي ذَلِك اخْتِلَافاً.
وَقَالَ فِي مَوضِع آخر: فَوَجَدنَا أهل الفتيا وَمن حفظنا عَنهُ من أهل العلم بالمغازي من قُرَيْش وَغَيرهم، لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ قَالَ يَوْم الفَتْح: «لَا وَصِيَّة لوَارث وَلَا يُقْتل مُسلم بِكَافِر» ويأمرون بِهِ عَمَّن حفظوه عَنهُ مِمَّن لقوه من أهل العلم بالمغازي.
فَكَأَن هَذَا قَول عَامَّة عَن عَامَّة، وَكَانَ أَقْوَى فِي بعض الأَمر من نقل وَاحِد، وَكَذَلِكَ وجدنَا عَلَيْهِ أهل العلم مُجْمِعِينَ)اهـ، البدر المنير (267/7).
وهذا من جنس تقديم الإمام مالك عمل أهل المدينة في الأمور المشهورة التي لم يوجد ما يخالفها.
قال ابن تيمية: (وَالمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ عَمَلَ أَهْلِ المَدِينَةِ الَّذِي يَجْرِي مَجْرَى النَّقْلِ حُجَّةٌ بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ) مجموع الفتاوى (306/20).
لكن القوم غارقون في وسوسة التضعيف!
فنسألهم هل ارتضى الفريقان حكمين أم هي خرافة هي الأخرى؟!
فإن قالوا: نعم، حصل التحكيم.
قلنا: فماذا دار في جلسة الحكم؟!
وبماذا خرجوا على الناس؟!
ولماذا كان الإمام علي يدعو في قنوته على أبي موسى الأشعري؟!!
(قال عبدالرَّحْمَنِ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ: صَلَّيْت مَعَ عَلِيٍّ صَلاَةَ الغَدَاةِ، قَالَ: فَقَنَتَ، فَقَالَ فِي قُنُوتِهِ: اللَّهُمَّ عَلَيْك بِمُعَاوِيَةَ وَأَشْيَاعِهِ وَعَمْرِو بْنِ العَاصِ وَأَشْيَاعِهِ، وَأَبِي الأعور السُّلَمِيِّ، وَعبد اللهِ بْنِ قَيْسٍ وَأَشْيَاعِهِ)اهـ، مصنف ابن أبي شيبة برقم (7123) وصححه مقبل الوادعي.

وعبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري لم يقاتل علياً وإنما خذله خذلاناً بيناً في قضية التحكيم وقد كان من طرف الإمام علي.

وقفة أخرى: على سند الرواية ولماذا يصرّ القوم على تضعيفها؟!
يقولون: القصة مدارها على أبي مخنف.
فما حال أبي مخنف هل هو كذاب أم سيء الحفظ أم ناصبي.
(لوط بن يحيى أبو مخنف.
أخباري تالف لا يوثق به.
تركه أبو حاتم، وَغيره.
وقال الدارقطني: ضعيف.
وقال ابن مَعِين: ليس بثقة.
وقال مرة: ليس بشيء.
وقال ابن عَدِي: شيعي محترق صاحب أخبارهم.
قلت: روى عن الصَّقْعَب عن زهير وجابر الجعفي ومجالد، روى عنه المدائني وعبدالرحمن بن مغراء ومات قبل السبعين ومِئَة)اهـ، لسان الميزان (430/6).
فأنت ترى أن الرجل ليس بسيء الحفظ ولا كذاب، وليس له ذنب إلا أنه شيعي فقط.
وتشيُّعُ أبي مخنف كما قيل: تهمةٌ لا أنفيها، وشرفٌ لا أدعيه!

وعَـــيَّرني الواشـــون أني أَحِبُّهـــا　　　وتلــك شــكاة ظــاهر عنــك عارهــا

وتشيع أبي مخنف تابعٌ لتشيع أسرته مع الإمام علي عليه السلام.
فهو أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سُليم.
و(مخنف بْن سُلَيْم... لَهُ صحبة...
واستعمله عَليّ بْن أَبِي طالب كرم اللَّه وجهه عَلَى مدينة أصفهان، وشهد معه صفين، وَكَانَ معه راية الأزد، ومن ولد مخنف بْن سُلَيْم: أَبُو مخنف لوط بْن يَحْيَى بْن سَعِيد بْن مخنف بْن سُلَيْم صاحب الأخبار والسير) أسد الغابة (122/5). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1467/4).
طيب..
لو كان أبو مخنف ناصبياً يسب علياً على المنابر هل سيكون ثقة؟!
الإجابة..
(قال ابن حجر: وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالباً،
وتوهينهم الشيعةَ مطلقاً!!!

ولا سيما أن علياً ورد في حقه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق)اهـ، تهذيب التهذيب (458/8).
فكل شيعي ضعيف، وغالب النواصب ثقات، ما لكم كيف تحكمون؟!

نموذج آخر:
أويس القرني
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ «إِنَّ مِنْ خَيْرِ التَّابِعِينَ أُوَيْساً القَرَنِيَّ» أخرجه أحمد (15942).
أويس القرني شهد مع الإمام علي صفين ضد معاوية: (قُتِلَ أُوَيْسٌ القَرَنِيُّ يَوْمَ صِفَّينَ مَعَ عَلِيٍّ)اهـ، أسد الغابة (180/1).
(يوم صفّين... فما زال يحارب حتى قتل.
وروى عبداللَّه بن أحمد في زيادات المسند، من طريق عبداللَّه بن سلمة، قال: غزونا أذربيجان في زمن عمر، ومعنا أويس، فلما رجعنا مرض فمات.
وفي الإسناد: الهيثم بن عدي، وهو متروك والمعتمد الأول)اهـ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (361/1).
فالمعتمد عند ابن حجر وغيره أن أويس القرني استشهد بين يدي الإمام علي في صفين.
ومع كل هذا!
قال البخاري: (أويس القرني أصلَهُ من اليمن، فِي إسناده نظر) التاريخ الكبير للبخاري (55/2).
ورد الذهبي فقال (مَا رَوَى شَيْئاً مُسْنَداً وَلاَ تَهَيَّأَ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ بِلِيْنٍ) سير أعلام النبلاء (20/4)
إذن .. فكل شيعي ضعيف حتى لو كان من خير التابعين، ولو لم يرو شيئاً يتهيأ أن يحكم به على روايته، ففيه نظر!
بل حتى لو كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام.
قال ابن حجر (جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الهاشمي، أبو عبدالله أحد الأئمة الأعلام، بر صادق كبير الشأن، لم يحتج به البخاري.
قال يحيى بن سعيد: مجالد أحب إلي منه، في نفسي منه شيء)اهـ، ميزان الاعتدال (414/1).

وقال ابن تيمية عن الإمام جعفر الصادق: (وَقَدِ اسْتَرَابَ البُخَارِيُّ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ لَمَّا بَلَغَهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ القَطَّانِ فِيهِ كَلَامٌ، فَلَمْ يُخَرِّجْ لَهُ). منهاج السنة النبوية (533/7).

أرأيتم كيف يظلم آل البيت وشيعتهم؟!!
وكيف يجامل النواصب فغالبهم ثقات، ولا يضرّ نصبهم!!!
فبعد هذا هل نستطيع القول بأن رواية التحكيم ضعيفة لأن مدارها على شيعي قاتل جده مع الإمام علي؟!!

المبتدع الأول

يحرص أمين جعفر في مقدمة عجالته على تبيين خطورة الانحرافات عن المنهج الصحيح.
وأفاد أن الانحراف يبدأ بسيطاً ثم يأخذ في التمدد.
والبدع أيضاً تبدأ صغيرة ثم تنتهي كبيرة.
وهذا كلام جميلٌ في غاية الصحة.

فكان على أمين جعفر -إن كان صادقاً- أن يبدأ بإنكار أول بدعة ابتدعت، وأن يعود إلى نقطة الانحراف الأولى.
وهو انحراف معاوية بن أبي سفيان بالحكم، وإسقاطه الخلافة على منهاج النبوة التي يسعى جميع المسلمين إلى إرجاعها وإعادتها.
يتألم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تغيير سنته وتبديلها من بعده فيقول: «أول من يغير سنتي رجل من بني أمية» أخرجه ابن أبي عاصم في (الأوائل) (7 /2)، قال الألباني: وهذا إسناد حسن كما في السلسلة الصحيحة (329/4) برقم (1749).
ثم علق الألباني على المتن فقال: (ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة، وجعله وراثة، والله أعلم).
وقَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «الخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلكاً» أخرجه أحمد برقم (21919).
فلو أنصف أمين جعفر لبدأ بالمبتدع الأول معاوية بن أبي سفيان؛ الذي أسقط الخلافة على منهاج النبوة، ولم تعد إلى الآن.
وبدعة معاوية بدعة على مستوى عالٍ في الخلافة ولا شك أنها في الخطوط العريضة.
(قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 78]
﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِياءُ﴾ أَيِ العَظَمَةُ وَالمُلكُ وَالسُّلطَانُ... يُقَالُ لِلمُلكِ: الكِبْرِيَاءُ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مَا يُطْلَبُ)اهـ، تفسير القرطبي (367/8).
ولذا ذكره الحديث وأشار إليه، والمعاناة بسببه ما زالت إلى اليوم.
لكن القوم غارقون في تجديع وشتم وسب من يرفع يديه بالدعاء بعد صلاة الفريضة؛ أما إذا ذكرت بدعة معاوية فالتبريرات والتعليلات حاضرة.

فيرون أن إسقاط الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وإقامة ملك عضوض بدلاً عنها ليس تغييراً ولا تبديلاً إنما هو أمر أكثر من طبيعي!!
نعم، إسقاط الخلافة أمر أكثر من طبيعي، هكذا يرون!
وهذه نتيجة طبيعة لهم. فمن رأى أن معاوية مأجور ببغيه على الإمام علي لأنه اجتهد فأخطأ..
وإذا سمم الإمام الحسن فهو مأجور أيضاً لأنه اجتهد ولعله أصاب كما سيأتي إن شاء الله..
فلا مانع أن تسقط خلافة الإمام علي ليقوم ملك معاوية، ويكون معاوية مأجوراً لأنه اجتهد في إسقاط الخلافة ولعله أصاب!

فإليكم هذا الحديث..
(فعَنْ عبدالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكَرَةَ، قَالَ: وَفَدْنَا مَعَ زِيَادٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَفِينَا أَبُو بَكَرَةَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَيْهِ لَمْ يُعْجَبْ بِوَفْدٍ مَا أُعْجِبَ بِنَا، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرَةَ حَدِّثْنَا بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ، وَيَسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا رَأَيْتُ، كَأَنَّ مِيزَاناً دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ وُزِنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ بعُمَرَ، ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ، فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ، ثُمَّ رُفِعَ المِيزَانُ، فَسَاءَهُ ذَاكَ.
ثُمَّ قَالَ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ المُلكَ مَنْ يَشَاءُ».
قَالَ أبو بكرة: فَزُخَّ فِي أَقْفَائِنَا، فَأُخْرِجْنَا. (من عند معاوية)
فَقَالَ زِيَادٌ: لَا أَبَا لَكَ، أَمَا وَجَدْتَ حَدِيثاً غَيْرَ ذَا؟! حَدِّثْهُ بِغَيْرِ ذَا.
قَالَ: لَا وَاللهِ لَا أُحَدِّثُهُ إِلَّا بِذَا حَتَّى أُفَارِقَهُ فَتَرَكَنَا، ثُمَّ دَعَا بِنَا.
فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرَةَ، حَدِّثْنَا بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ.
قَالَ: فَبَكَعَهُ بِهِ (أي وبخه بالكلام).
فَزُخَّ فِي أَقْفَائِنَا، فَأُخْرِجْنَا.
فَقَالَ زِيَادٌ: لَا أَبَا لَكَ أَمَا تَجِدُ حَدِيثاً غَيْرَ ذَا؟! حَدِّثْهُ بِغَيْرِ ذَا.
فَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا أُحَدِّثُهُ إِلَّا بِهِ حَتَّى أُفَارِقَهُ.
قَالَ: ثُمَّ تَرَكَنَا أَيَّاماً، ثُمَّ دَعَا بِنَا، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرَةَ، حَدِّثْنَا بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، قَالَ: فَبَكَعَهُ بِهِ، (أي وبخه بالكلام).
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَتَقُولُ المُلكَ؟ فَقَدْ رَضِينَا بِالمُلكِ)اهـ، أخرجه أحمد (20503) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (5378).

(وبكَعتُهُ بالكلام إذا وَّبخُتُه) كما في كتاب العين للفراهيدي (208/1).
ولعل سبب عدم ذكر الإمام علي في الحديث هو علم أبي بكرة، بفرط كراهية معاوية للإمام علي فلعله كان يسكت عنه ويتجاوزه إلى ذكر الملك العضوض.

التساؤل:

- لماذا استاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرؤيا، وليست سيئةً عند مدرسة أمين جعفر؟!
- لماذا ساء الحديث معاوية، وطرد من حدّثه بالحديث النبوي الشريف وزخ بأقفيتهم؟!

  والأمر أكثر من طبيعي عند مدرسة أمين جعفر.
- لو كان أحد من مدرسة أمين جعفر هناك، هل سيبارك لمعاوية إسقاطه الخلافة؟!
- لماذا يصرّ الصحابي أبو بكرة على توبيخ معاوية بحديث رسول الله؟!

إن ما فعله معاوية هو أول نقضٍ لعرى الإسلام.
قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ» أخرجه أحمد (22160).
وفي الحديث: «أَلَا إِنَّ رَحَا الإِسْلَامِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الكِتَابَ وَالسُّلطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلَا تُفَارِقُوا الكِتَابَ» أخرجه الطبراني.

وقفة: هل ملك معاوية ملك رحمة؟!
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ هَذَا الأَمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلكاً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَتَكَادَمُونَ عَلَيْهَا تَكَادُمَ الحَمِيرِ، فَعَلَيْكُمْ بِالجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جِهَادِكُمُ الرِّبَاطُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رِبَاطِكُمْ عَسْقَلَانُ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.
وصف النبي صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ الملك بعد الخلافة بأنه ملك رحمة وهذا ليس خاصاً بمعاوية وإنما هو عام في مدة الملك بعد سقوط الخلافة ويمتدّ طيلة الخلافة الأموية والخلافة العباسية التي نكلت بالدولة الأموية. ثم الإمارات المفرقة هنا وهناك، والخلافة العثمانية، كل هذا رحمة باعتبار، وليست رحمة بإطلاق.
فهي الرحمة بمقارنتها مع الحكم الجبري، وقد وصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ملك عضوض عاض فقال:
«تَكُونُ فِيكُمُ النُّبُوَّةُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلكاً عَاضّاً مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ» أخرجه أحمد.
إذن .. فهو حكم "عاض عضوض" بالنسبة لما قبله من الخلافة الراشدة.
وملك رحمة بالنسبة لما بعده من الحكم الجبري.

وهذا ليس فقط ما بدله معاوية وكم وكم بدل وغيّر!!
(وَقَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: أَرْبَعُ خِصَالٍ كُنَّ فِي مُعَاوِيَةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ لَكَانَتْ مُوبِقَةً: انْتِزَاؤُهُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى أَخَذَ الأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ، وَفِيهِمْ بَقَايَا الصَّحَابَةِ وَذَوُو الفَضِيلَةِ.
وَاسْتِخْلَافُهُ بَعْدَهُ ابْنَهُ سِكِّيراً خِمِّيراً، يَلبَسُ الحَرِيرَ وَيَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ.
وَادِّعَاؤُهُ زِيَاداً، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الوَلَدُ لِلفِرَاشِ وَلِلعَاهِرِ الحَجَرُ»، وَقَتْلُهُ حُجْراً وَأَصْحَابَ حُجْرٍ، فَيَا وَيْلاً لَهُ مِنْ حُجْرٍ! وَيَا وَيْلاً لَهُ مِنْ حُجْرٍ وَأَصْحَابِ حُجْرٍ!)اهـ، الكامل في التاريخ (82/3).

و(كان سعيد بن المسيب يدعو: قَاتَلَ الله فُلاَناً، كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ قَضَاءَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ قَالَ: «الوَلَدُ لِلفِرَاشِ»)اهـ، سير أعلام النبلاء (135/5).
وإنما كان ابن المسيب يدعو على معاوية،
قال الشوكاني:

(اسْتِلحَاقِ مُعَاوِيَةَ لَهُ كَانَ يُقَالُ لَهُ: زِيَادُ بْنُ عُبَيْدٍ وَكَانَتْ أُمُّهُ سُمَيَّةَ مَوْلَاةَ الحَارِثِ بْنِ كِلدَةَ الثَّقَفِيِّ وَهِيَ تَحْتَ عُبَيْدٍ المَذْكُورِ فَوَلَدَتْ زِيَاداً عَلَى فِرَاشِهِ فَكَانَ يُنْسَبُ إلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ شَهِدَ جَمَاعَةٌ عَلَى إقْرَارِ أَبِي سُفْيَانَ بِأَنَّ زِيَاداً وَلَدُهُ فَاسْتَلحَقَهُ مُعَاوِيَةُ بِذَلِكَ وَخَالَفَ الحَدِيثَ الصَّحِيحَ «أَنَّ الوَلَدُ لِلفِرَاشِ وَلِلعَاهِرِ الحَجَرُ» وَذَلِكَ لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ.

وَقَدْ أَنْكَرَ هَذِهِ الوَاقِعَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ مَنْ أَنْكَرَهَا حَتَّى قِيلَتْ فِيهَا الأَشْعَارُ، مِنْهَا قَوْلُ القَائِلِ:

أَلَا أَبْلِـــغْ مُعَاوِيَـــةَ بْـــنَ حَـــرْبٍ مُغَلغَلَـــةً مِـــنْ الرَّجُـــلِ اليَمَـــانِي
أَتَغْضَـــبُ أَنْ يُقَـــالَ أَبُـــوكَ عَـــفٌّ وَتَـــرْضَى أَنْ يُقَـــالَ أَبُـــوكَ زَانٍ

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ العِلمِ عَلَى تَحْرِيمِ نِسْبَتِهِ إلَى أَبِي سُفْيَانَ)اهـ، نيل الأوطار للشوكاني (127/5).

هل دعاء ابن المسيب على معاوية يجعله رافضياً؟!!

سؤال: إذا كان معاوية غيّر وبدل سنة رسول الله في الحكم، ونقض أول عروة من عرى الإسلام، وغيرها من الأحكام.
وقد قال النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ...
فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» أخرجه البخاري ومسلم وله ألفاظ كثيرة.

هل ابتدع معاوية وأحدث وغيَّر وبدَّل؟
وكيف عرف أمين جعفر ومن على شاكلته أن معاوية قد رضي الله عنه ولا يشمله هذا الوعيد؟!
أهم يقسمون رحمة ربك؟!
لماذا مدرسة أمين جعفر تهاجم المبتدعة كعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهم، وتهاجم من يهاجم المبتدع الأول معاوية بن أبي سفيان؟!

ملاحظة: احتجوا بأن ألفاظ الوعيد لا يجوز إنزالها على المعين، ويضربون لذلك مثالاً الحديث المشهور:
عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِرَجُلٍ سَكْرَانَ فَقَالَ: «اضْرِبُوهُ».
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ.
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِأَصْحَابِهِ: «بَكِّتُوهُ».
فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَقُولُونَ: مَا اتَّقَيْتَ اللهَ؟!، مَا خَشِيتَ اللهَ؟!، وَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟!، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ.
فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ.
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا الشَّيْطَانَ عَلَى أَخِيكُمْ وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ») أخرجه البخاري وأبو داود بمجموع هذه الألفاظ.
وفي رواية بينت من هو الذي أقيم عليه الحدّ.

(أُتِيَ بِابْنِ النُّعَيْمَانِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مِرَاراً، أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ، فَجَلَدَهُ فِي كُلَّ ذَلِكَ.

فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ العَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يَشْرَبُ، وَمَا أَكْثَرَ مَا يُجْلَدُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «لَا تَلعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ») أخرجه عبدالرَّزَّاقِ برقم (13552).

وعند الإمام أحمد أنه النعيمان وليس ابن النعيمان.

قال ابن حجر (الراجح النعيمان بلا شك) الإصابة في تمييز الصحابة (366/6).

والنعيمان (قال ابن سعد: شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها)اهـ، الإصابة في تمييز الصحابة (366/6).

إذن:

الصحابي الذي جيء به مراراً شارباً للخمر هو صحابي شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها.

وهذا سرّ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تَلعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

فإن محبة النعيمان الله ورسوله برهن عليها بشهوده بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها.

ولكن لإدمانه على الخمر في الجاهلية كان أحياناً لا يستطيع الصبر عنه.

وكونه شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، لم يكن ذلك مانعاً من إقامة الحدّ عليه.

ولم يكن في إقامة الحدّ عليه إلا تطهيراً له من قذر الذنب ولوثة المعصية.

فهذه إجاباتنا عن الصحابي الذي شرب الخمر.

فما هي إجابتكم عن معاوية؟

وأيهما أعظم شرب خمرٍ أم ما فعله معاوية؟!

تنازل الإمام الحسن لمعاوية

تنازل الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة لمعاوية، لأن أهل العراق خذلوه وحاولوا قتله، لكن كالعادة أنكر أمين جعفر ذلك.
وإذا أنكرت مدرسة أمين جعفر أحاديث متواترة وأحاديث في الصحيحين لا توافق هواهم، فإنكارهم لغير ذلك بديهي.

والسؤال:
إذا كان الإمام علي عجز عن استنهاض الناس لقتال معاوية في آخر أيامه فكيف سيقاتل أهل العراق مع الإمام الحسن؟!
وقد مرّ معنا قريباً قول ابن كثير:
(كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِ تنغصت عليه الأمور، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، وَنَكَلُوا عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ أَهْلِ الشَّامِ... وَكُلَّمَا ازْدَادَ أَهْلُ الشَّامِ قُوَّةً ضَعُفَ جَأْشُ أَهْلِ الْعِرَاقِ)اهـ، البداية والنهاية (358/7).
وإذا كان معاوية قاتل الإمام علياً عليه السلام باغياً وخارجاً عليه، فهل سيترك الإمام الحسن؟!

جيش معاوية لم يخض إلا معركة واحدة وهي معركة صفين.
بينما جيش العراق قد أثخنته الجراح في الجمل وفي صفين وفي النهروان ضد الخوارج!
فالمعطيات الأولية ترجح انتصار معاوية، ومقتلة في أهل العراق وفي أهل البيت خاصة.
فهل من الحكمة خوض هذه المعركة أم المصالحة؟!
وقد أجمعت كتب التأريخ أن الحسن كان لا يستطيع قتال معاوية بل حاول أهل العراق قتله.
(عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ، يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ) أخرجه البخاري.
وتتمة هذه الكتائب أمثال الجبال.
(وسار الحسن حتى نزل بالمدائن وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبج فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره إلا أن قيس بن سعد قد

قُتل قال فشد الناس على حجرة الحسن فانتهبوها حتى انتهبت بسطه وجواريه واخذوا رداءه من ظهره وطعنه رجل من بني أسد يقال له ابن أقيصر بخنجر مسموم في إليته فتحول من مكانه الذي انتهب فيه متاعه ونزل الأبيض قصر كسرى، وقال: عليكم لعنة الله من أهل قرية فقد علمت أنه لا خير فيكم، قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا. ثم دعا عمرو بن سلمة الأرحبي، فأرسله وكتب معه إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله الصلح ويسلم له الأمر على أن يسلم له ثلاث خصال: يسلم له بيت المال، فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه، ويتحمل منه هو ومن معه عيال أهل أبيه وولده وأهل بيته، ولا يسب علي وهو يسمع وأن يحمل إليه خراج فسا ودار أبجرد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي) تاريخ دمشق لابن عساكر (264/13).

وتتمة كتائب الجبال:

(وسار الحسن حتى نزل المدائن. وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبج. فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناديه في عسكره ألا إن قيس بن سعد قد قتل. قال: فشد الناس على حجرة الحسن فانتهبوها حتى انتهبت بسطه وجواريه وأخذوا رداءه من ظهره. وطعنه رجل من بني أسد يقال له: ابن أقيصر بخنجر مسموم في إليته. فتحول من مكانه الذي انتهب فيه متاعه. ونزل الأبيض قصر كسرى. وقال: عليكم لعنة الله من أهل قرية.

فقد علمت أن لا خير فيكم. قتلتم أبي بالأمس. واليوم تفعلون بي هذا.

ثم دعا عمرو بن سلمة الأرحبي. فأرسله وكتب معه إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله الصلح ويسلم له الأمر على أن يسلم له ثلاث خصال.

يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه. ويتحمل منه هو ومن معه من عيال أبيه وولده وأهل بيته.

ولا يسب علي وهو يسمع.

وأن يحمل إليه خراج فسا ودار ابجرد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي) الطبقات الكبرى (321/1).

وتكرر هذا المعنى في البداية والنهاية لابن كثير (16/8). وتكرر هذا في تاريخ ابن الوردي (157/1).

ومما يدل على عدم ثقة الإمام الحسن بقتال (كتائب الجبال) معه ما يلي:

(قام الحسن بعد موت أبيه أمير المؤمنين فقال بعد حمد الله جل وعز: أنا والله <u>ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم.</u>

وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر.
فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع.
وكنتم في مبتدئكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم.
ألا وإنا لكم كما كنا ولستم لنا كما كنتم.
ألا وقد أصبحتم بعد قتيلين: قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره.
فأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر.
ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزٌ ولا نصفة!!
فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جل وعز بظبا السيوف.
وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا.
فناداه القوم من كل جانب البقية البقية فلما أفردوه أمضى الصلح)اهـ، تاريخ دمشق لابن عساكر (268/13).
قال ابن كثير وهو يؤكد هذا المعنى:
(أَقَامَ أَهْلُ العِرَاقِ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيُمَانِعُوا بِهِ أَهْلَ الشَّامِ فَلَمْ يُتِمَّ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ وَمَا حَاوَلُوهُ، وَإِنَّمَا كَانَ خِذْلَانُهُمْ مِنْ قبل تدبيرهم وَآرَائِهِمُ المُخْتَلِفَةِ المُخَالِفَةِ لِأُمَرَائِهِمْ، وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَعَظَّمُوا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ مُبَايَعَتِهِمُ ابْنَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، وَسَيِّدَ المُسْلِمِينَ، وَأَحَدَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَحُلَمَائِهِمْ وَذَوَى آرَائِهِمْ) البداية والنهاية (17/8).

شروط تنازل الإمام الحسن لمعاوية:
(وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ فِي كِتَابِ الخَوَارِجِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ إِلَى أَبِي بَصْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ لِنَفْسِيَ الخِلَافَةَ بَعْدَهُ) فتح الباري لابن حجر (65/13).
قال ابن كثير: (فَاشْتَرَطَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافِ أَلفِ دِرْهَمٍ، وأن يكون خراج دار أبجرد لَهُ، وَأَنْ لَا يُسَبَّ عَلِيٌّ وَهُوَ يَسْمَعُ، فَإِذَا فُعِلَ ذَلِكَ نَزَلَ عَنِ الإِمْرَةِ لِمُعَاوِيَةَ، وَيَحْقِنُ الدِّمَاءَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ) البداية والنهاية (16/8).

(فَكتب إِلَى مُعَاوِيَة وَاشْترط شُرُوطاً إِن أَجَابَهُ إِلَيْهَا سمع وأطاع، فَأَجَابَهُ مُعَاوِيَة إِلَيْهَا؛ والشروط: أَن يُعْطِيهِ مَا فِي بَيت مَال الكُوفَة، وخراج دَار أبجرد من فَارس، وَأَن لَا يسب علياً؛ فَلم يجب إِلَى الكَفّ عَن السب، فَطلب أَن لَا يسب وَهُوَ يسمع، فَأَجَابَهُ وَمَا وَفى بِهِ)اهـ، تاريخ ابن الوردي (157/1).

فهل شرط الإمام الحسن على معاوية أن لا يسب علياً؛ هل هذا شرط مفاوض من موضع قوة أم من موضع ضعف؟!!

لا، لا.

بل يرفض معاوية الشرط، وإصراره على أن يسبّ علياً سلام الله على علي.

ويضطر الإمام الحسن أن يتراجع خطوة فيشترط لا يسبّ علي وهو يسمع.

وهل وَفّى معاوية حتى بهذا الشرط؟ -سيأتي إن شاء الله-.

لكن هل هذه شروط من موضع قوة أم من موضع ضعف؟!

سؤال:

فما وجه المدح في صلح جاء عن ضعف؟!!!

فما دام أن الإمام الحسن لا طاقة له بقتال معاوية، فما وجه المدح في تنازله لمعاوية؟!!

فالإجابة: أن وجه المدح، أن هذا نظير ما وقع للصحابة في مكة فمع أنهم كانوا يضربون ويؤذون إلا أنهم أمروا أن يكفوا أيديهم، ومنعوا من القتال.

وكان بالإمكان أن يخوض بعض الصحابة بعض المواجهات ضد كفار مكة، لكنهم في نهاية المطاف ستكون هزيمتهم ساحقة.

فكان في كف أيديهم حقناً للدماء، وإسكان الدهماء ومصلحة للإسلام وللمسلمين.

وكذلك كان في كف الأيدي مزيد من تعرية لحقيقة الكفار، وإيصال حقيقة الدعوة الإسلامية.

فهل كفّ أيادي الصحابة ممدوح أم أنه مذموم؟!

فهو نظير ما وقع من الإمام الحسن سلام الله عليه!

فإنه وإن استطاع مواجهة معاوية في بعض المعارك، إلا أنه من حيثيات ومعطيات ميدانية فإن الهزيمة كانت أقرب إلى أهل العراق.

فكان تنازل الإمام الحسن حقناً لدماء المسلمين.

كما أن في شروط الصلح تعرية لحقيقة معاوية.

وخاصة أنه قاتل في بصفوف معاوية بعض الصلحاء ممن انطلت عليه مكايد معاوية، مثل أبي مسلم الخولاني وهو إمام في الصلاح.

ومع ذلك كان يقاتل في صفوف الفئة الباغية ضد الإمام علي.

(إن أبا مسلم الخولاني كان يرتجز يوم صفين ويقول:

ما علتي ما علتي * وقد لبست درعتي * أموت عند طاعتي)اهـ، تاريخ دمشق لابن عساكر (221/27).
يموت عند طاعته لمعاوية؟!!
وغيره كثير!
ولذا في الحديث أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَوْمَ صِفِّينَ: اللَّهُمَّ العَنْ أَهْلَ الشَّامِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَهْ، لَا تَسُبَّ أَهْلَ الشَّامِ، جَمٌّ غَفِيرٌ فَإِنَّ فِيهِمُ الأَبْدَالُ). أخرجه نعيم بن حماد في الفتن برقم (663).

فإن قيل: فهلا تنازل الإمام علي لمعاوية ليعرف الناس حقيقة معاوية؟
قلنا: كان الإمام علي أثقل من الإمام الحسن، فعلي هو علي، وكان معه عمار وكان جانب الحق مع علي أظهر.
وكان في تنازل الإمام الحسن لمعاوية على شروط، وعدم وفاء معاوية بالشروط تعرية لحقيقته، وإبطال لحجته في المطالبة بدم عثمان، وغير ذلك.
فهل وفى معاوية بالشروط للإمام الحسن؟
(عن أبي إسحاق، قال: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين؛ لا أفي به.
قال أبو إسحاق: وكان والله غدّاراً)اهـ، مقاتل الطالبيين (ص: 77).
(فكان حصين بْن المنذر الرَّقَاشِيّ أَبُو ساسان يقول: مَا وفّى معاوية للحسن بشيء مما جعل له!! قتل حجراً وأصحابه، وبايع لابنه ولم يجعلها شورى وسمّ الحسن)اهـ، أنساب الأشراف للبلاذري (47/3).

ومع تنازل الحسن وسب معاوية له إلا أنك تجد الإمام النووي الدمشقي يتأول أمر معاوية لسعد بن أبي وقاص بأن يسبّ أبا تراب، بتأويل متعسف متكلف.
فالحديث: (أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْداً فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثاً قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَلَنْ أَسُبَّهُ، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ، خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي» أخرجه مسلم برقم (2404).
فيقول النووي (فَقَوْلُ مُعَاوِيَةَ هَذَا لَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ أَمَرَ سَعْداً بِسَبِّهِ وَإِنَّمَا سَأَلَهُ عَنِ السَّبَبِ المَانِعِ لَهُ مِنَ السَّبِّ كَأَنَّهُ يَقُولُ هَلِ امْتَنَعْتَ تَوَرُّعاً أَوْ خَوْفاً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ

فَإِنْ كَانَ تَوَرُّعاً وَإِجْلَالاً لَهُ عَنِ السَّبِ فَأَنْتَ مُصِيبٌ مُحْسِنٌ وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ فَلَهُ جَوَابٌ آخَرُ ولَعَلَّ سَعْداً قَدْ كَانَ فِي طَائِفَةٍ يَسُبُّونَ فَلَمْ يَسُبَّ مَعَهُمْ وَعَجَزَ عَنِ الْإِنْكَارِ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ فَسَأَلَهُ هَذَا السُّؤَالَ) شرح النووي على مسلم (175/15).
العجيب: أنك تجد هؤلاء العلماء لديهم مهارة فائقة وبراعة في فهم الأحاديث إلا إذا ذُكر معاوية، فإنك تجد التبريرات والتفسيرات الغريبة العجيبة.
ومع صراحة الحديث لم يجد ابن تيمية بُدّاً من إثبات أمر معاوية لسعد بسبّ الإمام علي لشدّة وضوحه وصراحته.
فقال: (أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْداً بِالسَّبِّ فَأَبَى، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ)اهـ، منهاج السنة النبوية (40/5).

والسؤال ما حكم من يسب صحابياً ممن هاجر وشهد مع رسول الله المشاهد وهو من آل البيت؟
ما حكم من يسب علياً؟
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من سب أصحابي، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» رواه الطبراني سلسلة الأحاديث الصحيحة (2340).
«من سب»! فكيف إن كان أمراً غير السب؟!!
ولم يقل: (من لعن) إنما قال: «من سبّ» فأي سبّ فهو داخل في عموم الحديث فكيف إذا كان سبه لعناً؟!!

ومع تنازل الإمام الحسن لمعاوية بشروط تجد أن مدرسة أمين جعفر يستدلون بذلك على شرعية ملك معاوية، ولا يستدلون به على غدره.
حيث غدر بالإمام الحسن فلم يف له بالشروط.
بل تجد الغلو في تقديس معاوية:
ذكر ابن تيمية في قضية موت الإمام الحسن بن علي بالسم..
قال: (قَوْلُهُ: "إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَمَّ الْحَسَنَ".
فَهَذَا مِمَّا ذَكَرَهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ بِبَيِّنَةٍ شَرْعِيَّةٍ، أَوْ إِقْرَارٍ مُعْتَبَرٍ، وَلَا نَقْلٍ يُجْزَمُ بِهِ....
فَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ قِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً كَمَا تَقَدَّمَ، وَقِتَالُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً بِتَأْوِيلٍ، وَسَبُّ بَعْضِهِمْ بَعْضاً بِتَأْوِيلٍ، وَتَكْفِيرُ بَعْضِهِمْ بَعْضاً بِتَأْوِيلٍ: بَابٌ عَظِيمٌ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ حَقِيقَةَ الْوَاجِبِ فِيهِ وَإِلَّا ضَلَّ)اهـ، منهاج السنة النبوية (471/4).

بمعنى أن معاوية لو سمم الإمام الحسن فهو مجتهد متأول، ويؤجر على قتله الحسن بالسم.
بعبارة أخرى:
إن لم يكن معاوية قد غدر بالحسن وسممه فليس له أجر، فهو لم يجتهد في تسميمه.
لكن إن ثبت أنه غدر بالحسن وسممه؛ فلا شك أنه اجتهد وهو مأجور.
فهل أخطأ أم أصاب؟!!
إن كان أخطأ فله أجر واحد.
وإن كان مصيباً فله أجران، من يدري لعله أصاب!!!

ألم تكن بين معاوية وبين الحسن عهود ومواثيق؟! ألم يكن الإمام الحسن مسالماً لمعاوية، وكان معاوية هو الملك؟!
وقد قال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْراً مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ» أخرجه مسلم برقم (1738).
قال ابن حجر: (وَفِي الْحَدِيثِ غِلَظُ تَحْرِيمِ الْغَدْرِ لَا سِيَّمَا مِنْ صَاحِبِ الْوِلَايَةِ الْعَامَّةِ لِأَنَّ غَدْرَهُ يَتَعَدَّى ضَرَرُهُ إِلَى خَلقٍ كَثِيرٍ وَلِأَنَّهُ غَيْرُ مُضْطَرٍّ إِلَى الْغَدْرِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْوَفَاءِ) فتح الباري (284/6).

وإذا كان هذا منطق ابن تيمية سامحه الله، فلا عجب، ما نسمعه من غيره!

مسألة: كيف قاتل الإمام الحسين يزيد؟ ولم يسالمه مثل ما سالم أخوه الإمامُ الحسنُ معاويةّ؟
فالإجابة:
أن الإمام الحسن قد أتاح الفرصة الكافية لمريد الحق في التعرف على حقيقة معاوية وغدره وعدم وفائه بشروط التنازل له.
فلما جاء دور يزيد خرج الإمام الحسين، على يزيد، ولم يكن الأمر يدور في فلك من هو أقوى عسكرياً، هل الإمام الحسين أقوى عسكريا أم يزيد!
إنما خرج الإمام الحسين واعترض له في الطريق.
فلا يقال كان الإمام الحسين أضعف عسكرياً أم أقوى، لأنه لم يصل إلى عسكره، بل اعترض له في الطريق.
وقبل أن يخوض الإمام الحسين معركته مع جيش عبيدالله بن زياد؛ أذن لمن معه بالانصراف ولم يلزمهم بالبقاء.
وكان بالإمكان التدخل بأكثر من حل وتجنب مأساة كربلاء، لكن الحقد الأموي أبى إلا قتله بتلك الطريقة المأساوية.

ومع كل تلك الفظاعة؛ يقول ابن العربي الأندلسي والأندلس أموية المذهب والمشرب والهوى..
(إن الإمام الحسين قتل بسيف جده)!!!
قال السيوطي: (وَلَيْسَ ذَلِك بِأول عجرفة لهَذَا المُفْتِي وجرأته وإقدامه فقد ألف كتاباً فِي شَأْن مَوْلَانَا الحُسَيْن رَضِي الله عَنهُ وكرم وَجهه وأخزى شانئه زعم فِيهِ أَن يزِيد قَتله بِحَقٍ بِسيف جده نَعُوذ بِاللَّه من الخذلان)اهـ، الشمائل الشريفة (ص: 365).
وقال الألوسي: (وأبو بكر بن العربي المالكي عليه من الله تعالى ما يستحق أعظم الفرية فزعم أن الحسين قتل بسيف جده صلّى الله عليه وآله وسلّم وله من الجهلة موافقون على ذلك ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾)اهـ، تفسير الألوسي، روح المعاني (228/13).

وهكذا النهج الأموي، يخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري لمصلحة الإسلام والمسلمين!
ويسمم الإمام الحسن لمصلحة الإسلام والمسلمين!
ويقتل الإمام الحسين بشرع جدّه!

وفوق هذا وذاك نجد ابن تيمية يصرح بتفضيل عهد وملك يزيد بن معاوية على عهد الإمام علي!

نعم، يزيد بن معاوية يُفَضِّل ابن تيميةُ عهدَه وملكَه على خلافة الإمام علي عليه السلام.

تأمّل كلامه:

قال ابن تيمية: (وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ عَزِيزاً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

وَلَفْظُ البُخَارِيِّ: «اثْنَيْ عَشَرَ أَمِيراً».

وَفِي لَفْظٍ: «لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِياً وَلَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً».

وَفِي لَفْظٍ: «لَا يَزَالُ الإِسْلَامُ عَزِيزاً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

وَهَكَذَا كَانَ، فَكَانَ الخُلَفَاءُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ.

ثُمَّ تَوَلَّى مَنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَصَارَ لَهُ عِزٌّ وَمَنَعَةٌ: مُعَاوِيَةُ، وَابْنُهُ يَزِيدُ، ثُمَّ عبدالمَلِكِ وَأَوْلَادُهُ الأَرْبَعَةُ، وَبَيْنَهُمْ عُمَرُ بْنُ عبدالعَزِيزِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ حَصَلَ فِي دَوْلَةِ الإِسْلَامِ مِنَ النَّقْصِ مَا هُوَ بَاقٍ إِلَى الآنَ؛ فَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ تَوَلَّوْا عَلَى جَمِيعِ أَرْضِ الإِسْلَامِ، وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ فِي زَمَنِهِمْ عَزِيزَةً)اهـ، منهاج السنة النبوية (238/8).

جميل إذن.. كان الإسلام في زمن يزيد عزيزاً منيعاً!

طيب.. وهل كان الإمام علي من ضمن أولئك الخلفاء والأمراء أم لم يكن الإمام علي منهم؟!

نواصل حديث ابن تيمية قال:

(وَهَؤُلَاءِ الاثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً هُمُ المَذْكُورُونَ فِي التَّوْرَاةِ؛ حَيْثُ قَالَ فِي بِشَارَتِهِ بِإِسْمَاعِيلَ: "وَسَيَلِدُ اثْنَيْ عَشَرَ عَظِيماً".

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ هُمُ الَّذِينَ تَعْتَقِدُ الرَّافِضَةُ إِمَامَتَهُمْ فَهُوَ فِي غَايَةِ الجَهْلِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ كَانَ لَهُ سَيْفٌ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يَتَمَكَّنْ فِي خِلَافَتِهِ مِنْ غَزْوِ الكُفَّارِ، وَلَا فَتْحِ مَدِينَةٍ، وَلَا قَتَلَ كَافِراً، بَل كَانَ المُسْلِمُونَ قَدِ اشْتَغَلَ بَعْضُهُمْ بِقِتَالِ بَعْضٍ، حَتَّى طَمِعَ فِيهِمُ الكُفَّارُ بِالشَّرْقِ وَالشَّامِ مِنَ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ، حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُمْ أَخَذُوا بَعْضَ بِلَادِ المُسْلِمِينَ، وَإِنَّ بَعْضَ الكُفَّارِ كَانَ يُحْمَلُ إِلَيْهِ كَلَامٌ حَتَّى يَكُفَّ عَنِ المُسْلِمِينَ، فَأَيُّ عِزٍّ لِلإِسْلَامِ فِي هَذَا، وَالسَّيْفُ يَعْمَلُ فِي المُسْلِمِينَ، وَعَدُوهُمْ قَدْ طَمِعَ فِيهِمْ وَنَالَ مِنْهُمْ؟!)اهـ، منهاج السنة النبوية (241/8).

إذن .. لم تطب نفس ابن تيمية بأن يُبقي الإمام علي بن أبي طالب ضمن أولئك الخلفاء والأمراء الذين بشرت بهم التوراة وكان الإسلام عزيزاً ومنيعاً في عهدهم.

فقال:

(فَأَيُّ عِزٍّ لِلإِسْلَامِ فِي هَذَا، وَالسَّيْفُ يَعْمَلُ فِي المُسْلِمِينَ، وَعَدُّوهُمْ قَدْ طَمِعَ فِيهِمْ وَنَالَ مِنْهُمْ؟!)

ثم أكد تشكيكه في دخول الإمام علي فيهم بقوله:

(وَالمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ الحَدِيثَ الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ الِاثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً، سَوَاءٌ قُدِّرَ أَنَّ عَلِيّاً دَخَلَ فِيهِ، أَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُل، فَالمُرَادُ بِهِمْ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الخُلَفَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ)اهـ، منهاج السنة النبوية (244/8). يقصد من تقدم ذكرهم ومنهم يزيد.

بمعنى أن الإسلام لم يكن عزيزاً في عهد الإمام علي!

ثم لا تجده يستدرك في إدخال يزيد ضمن أولئك!

فقد تأكد له أن الإسلام كان عزيزاً في عهد يزيد!

فلا إشكال في إدخاله ضمن أولئك الخلفاء والأمراء.

تنبيه: لا يقول ابن تيمية بأن يزيد أفضل وأكمل من الإمام عليٍ، لكن حديثه وكلامه عن حكم الإمام علي وعن حكم يزيد، فلا نُقوّل ما لم نقل.

ولمن لا يعرف يزيد!

قال ابن كثير: (وَقَدْ أَخْطَأَ يَزِيدُ خَطَأً فَاحِشاً فِي قَوْلِهِ لِمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ أَنْ يُبِيحَ المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيدالله بن زياد.
وقد وَقَعَ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ المَفَاسِدِ العَظِيمَةِ فِي المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوَصَفُ، مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)اهـ، البداية والنهاية (243/8).
وقال أيضاً: (وحمل أهل الشَّام على أهل مكة حَمْلَةً صَادِقَةً، ... فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ ثَالِثُ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ نَصَبُوا المَجَانِيقَ عَلَى الكَعْبَةِ وَرَمَوْهَا حَتَّى بِالنَّارِ، فَاحْتَرَقَ جِدَارُ البيت في يوم السبت... وَاسْتَمَرَّ الحِصَارُ إِلَى مُسْتَهَلِّ رَبِيعٍ الآخِرِ، وَجَاءَ النَّاسَ نعْي يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ قَد مَاتَ... فغُلب أهل الشام هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ، فَحِينَئِذٍ خَمَدَتِ الحَرْبُ وَطَفِئَت نَارُ الفِتْنَةِ)اهـ، البداية والنهاية (247/8).
احتراق جدار الكعبة في سبيل بقاء يزيد في الحكم!
فهذا يزيد الذي كان الإسلام في عهده عزيزاً منيعاً!!
افتتح ملكه بقتل الإمام الحسين، وثنى باستباحة أعراض وأموال ودماء أهل مدينة رسول الله، واختتم ملكه بحرق الكعبة.

وهذا يبين لنا سبب مسارعة الأنصار في سقيفة بني ساعدة لبيعة رجل منهم!
لأنهم تخوفوا وصول بني أمية للحكم، فيُنتقم منهم على ما فعله الأنصار في بدر وما بعدها!!
وحصل ما تخوفوه حيث انتقم يزيد بن معاوية من أهل المدينة في وقعة الحرة.
وهذا ليس استنباطاً، إنما قالها أنصاري من أهل بدر في سقيفة بني ساعدة!!!
(وَقَعَ عِنْد ابن سَعْدٍ مِنْ رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَقَامَ حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ وَكَانَ بَدْرِيّاً فَقَالَ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَنْفَسُ عَلَيْكُمْ هَذَا الأَمْرَ وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَلِيَهُ أَقْوَامٌ قَتَلنَا آبَاءَهُمْ وَإِخْوَتَهُمْ)اهـ، فتح الباري لابن حجر (31/7).

فانظر تصريح الحباب بن المنذر بخوف الأنصار أن يلي الخلافة معاوية وبني أمية (نَخَافُ أَنْ يَلِيَهُ أَقْوَامٌ قَتَلنَا آبَاءَهُمْ وَإِخْوَتَهُمْ)!!!
وانظر كيف حصل ما كان يخافون وقوعه؛ في عهد يزيد!!

بعد هذه الفظائع المنكرة..
لا ينقضي العجب من ابن خلدون الأندلسي، والأندلس كانت بيئة أموية خالصة.
يقول ابن خلدون: (والّذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنّما هو مراعاة المصلحة في اجتماع النّاس، واتّفاق أهوائهم باتّفاق أهل الحلّ والعقد عليه حينئذ من بني أميّة، إذ بنو أميّة يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملّة أجمع وأهل الغلب منهم، فآثره بذلك دون غيره ممّن يظنّ أنّه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتّفاق واجتماع الأهواء الّذي شأنه أهمّ عند الشّارع.
وإن كان لا يُظنّ بمعاوية غير هذا، فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصّحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الرّيب فيه، فليسوا ممّن يأخذهم في الحقّ هوادة، وليس معاوية ممّن تأخذه العزّة في قبول الحقّ، فإنّهم كلّهم أجلّ من ذلك وعدالتهم مانعة منه)اهـ، تاريخ ابن خلدون (263/1).

يُولى يزيد، فيَقتل الإمام الحسين، وتستباح دماء رجال مدينة رسول الله، وتنتهك أعراض نسائها، وتحرق الكعبة لمصلحة الإسلام والمسلمين!
والسبب: (لا يُظنّ بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك)!
وأيضاً: (وليس معاوية ممّن تأخذه العزّة في قبول الحقّ)!
أرأيتم كيف يحرفون التأريخ ويغيرون الشريعة ليثبتوا عدالة معاوية؟!!

وقفة: فبعد ظهور الطبعة الأولى للكتاب، وجدنا أمين جعفر وصبيان النواصب، يقرّون أن عهد يزيد كان عهد عزٍ وقوة، وأن عهد الإمام علي كان عهد ضعف.
ولست أدري هل يرون أن انتصارات يزيد في كربلاء وقتل الإمام الحسين، كان عزاً؟!
أم بطولات يزيد في اجتياح المدينة المنورة -مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهتك أعراض نسائها وقتل الرجال، كان عزاً ومنعة للإسلام؟!!
أم غرهم وصول فتوحات يزيد إلى مكة المكرمة، وإحراق الكعبة؟!!
فلو تنزلنا فرضاً أن معركة الجمل وصفين والخوارج كانت ضعفاً في عهد علي ولم يمدح رسول الله هذا القتال..
فأين هي من فظائع يزيد من مأساة كربلاء؟! ثم استباحة المدينة المنورة؟! ثم رمي الكعبة بالمنجنيق حتى يحرق ستارها؟!

فيا أمين جعفر وصبيان النواصب..
﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾.

(تِلكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ)

لطالما كرر القوم هذه الآية في وجه كل من يتناول هذا الموضوع مهما كان منصفاً.
ويقولون: ما الداعي لفتح هذا الملف؟!
وهي فتنة عصم الله منها أيدينا، فلماذا لا نعصم منها ألسنتنا؟!
وكأن دماء المسلمين في القديم والحديث فعلاً عُصمت من تداعيات هذه الأحداث.
ولم يحصل اقتتال طائفي شيعي سني لا في إيران ولا في العراق ولا في سوريا ولا في اليمن ولا في غيرها.
وكأن الدفاع عن يزيد غير حاضرٍ في القنوات السنية، وكأن الطعن في الشيخين ليس حاضراً في القنوات الشيعية.

وللوقوف على معنى الآية الكريمة، فإن الخطاب فيها لأهل الكتاب!
﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت لَها ما كَسَبَت وَلَكُم ما كَسَبتُم وَلا تُسأَلونَ عَمّا كانوا يَعمَلونَ﴾ [البقرة: 134]
فضمير المُخاطَبين (كم) في قوله: ﴿ولكم ما كسبتم﴾، واضح من السياق أنهم اليهود والنصارى، فالآية تحدثت عن جرائم اليهود والنصارى وتناقضهم:

- طلبهم رؤية الله جهرةً.
- تضجرهم من طعام واحد.
- تلكؤهم في ذبح البقرة.
- كتابتهم الكتاب بأيديهم وقولهم أنه من عند الله.
- شراؤهم بآيات الله ثمناً قليلاً.
- تعلمهم السحر والشعوذة.
- حرصهم على الحياة الدنيا.
- عداؤهم لجبريل عليه السلام.
- اتخاذهم العجل.

ثم ذكر إمامة إبراهيم وبنيه، واليهود ينسبون من حيث النسب إلى إبراهيم وبنيه من الأنبياء عليهم السلام.
فقال تعالى: ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

بمعنى أن حسنات إبراهيم له وليست لكم: ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ كما أنه لو وقع من الأنبياء شيءٌ فلا تُؤخذون به.

وهذا المعنى هو المعنى الواضح.

وليس معناه لا تذكروا ما وقع في التأريخ.

وهذا ما فهمه المفسرون:

قال ابن كثير: (وقوله تعالى: ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: أن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيراً يعود نفعهُ عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم: ﴿وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقال أبو العالية، والربيع، وقتادة: ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يعني: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، ولهذا جاء في الأثر: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)اهـ، تفسير ابن كثير (447/1).

وقال الشوكاني: (قوله تعالى: ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾..

بيانٌ لحال تلك الأمة، وحال المخاطَبين بأن لكل من الفريقين كسْبه، لا ينفعه كسْب غيره، ولا يناله منه شيء، ولا يضرّه ذنب غيره، وفيه الردّ على من يتكل على عمل سلفه، ويُرَوِّح نفسه بالأماني الباطلة، ومنه ما ورد في الحديث: «من بطأ به عمله لم يسرع نسبه» والمراد: أنكم لا تنتفعون بحسناتهم، ولا تؤاخَذون بسيئاتهم، ولا تُسألون عن أعمالهم، كما لا يُسْأَلون عن أعمالكم، ومثله: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾)اهـ، فتح القدير للشوكاني (186/1).

هذا معنى الآية وليس معناها تناسي الأحداث والوقائع!

كيف والقرآن يسرد عشرات الآيات قبل آية ﴿تلك أمة قد خلت..﴾؟!

فكيف نتجاوز عشرات الآيات ثم ننتقي منها ﴿تلك أمة قد خلت..﴾؟!

ولذا لم تقل اليهود لما سرد عليها القرآن مخازي أجدادهم وفضائحهم؛ لم يقولوا: يا أبا القاسم: ﴿تلك أمة قد خلت﴾!

لأنهم علموا أن المقصود هو عدم فخرهم بأعمال أنبيائهم عليهم السلام.

فهذا معنى الآية الواضح.

وليس من المعقول أن يذكر لنا القرآن أن آدم أكل من الشجرة وأن يونس ذهب مغاضباً وأن موسى قتل نفساً بغير إذن، وأن رسول الله حَرَّم على نفسه ما أحل الله له.

وذِكْرُ هذا كله لا يقال فيه: ﴿تلك أمة قد خلت﴾.

ثم يأتي ذكر معاوية ويزيد فيصرخون: ﴿تلك أمة قد خلت﴾.

إلا إذا كان هذا الفهم من تأثير الحكم العاض الذي أسسه معاوية.

(إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً)

يرى أمين جعفر أن فاقرة الفواقر، وداهية الدواهي، أن يكون الإمام السيد الشريف الحودلي عليه السلام مرشحاً أن يكون هو الإمام المهدي.
السؤال: هل لأن الزمان ليس زمان ظهور الإمام المهدي؟!
إذن .. كيف نعرف زمان المهدي؟
لا يرد!

هل لأن الصفات التي يُعرف ويُميز بها المهدي عن غيره؛ غير متوفرة في السيد الشريف الإمام الحودلي عليه السلام؟!
لا يرد!

كيف سيبايع للإمام المهدي فجأة من غير سابق إعداد؟!
كل هذا غير مهم عنده.

المهم أنه لا يمكن أن يكون الإمام الحودلي هو المهدي!

طيب.. لماذا؟!
حاله: أهذا الذي بعث الله مهدياً؟!
حاله: أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَداً أَرْسَلَهُ غَيْرَكَ ليكون المهدي؟!

وما دام أنه لم يتعرض لتقرير المسألة علمياً، فنحن لسنا معنيين بالردّ على كلامٍ مرسلٍ لا يستند إلى حجةٍ ولا برهان.

وأخيراً..

إن معاوية هو من أسقط الخلافة الأولى على منهاج النبوة.
ومدرسة أمين جعفر تصنف من لم يرض عن معاوية أنه رافضي سيء المعتقد.
وأنه لا يمكن أن تقوم خلافة على منهاج النبوة إلا إذا رضينا عمن أسقط الخلافة الأولى على منهاج النبوة.
وهذا نهاية في التناقض.
ولذا كما خرج الخوارج المنغلقون فكرياً وذهنياً على إمام العترة الإمام علي عليه السلام.
فإن الخوارج المنغلقين فكرياً وذهنياً هم أكثر الناس تأهلاً للخروج على الإمام المهدي عليه السلام والوقوف في صف الدجال.
فالدجال إنما يخدع الناس بغرور، فيظهر أنه مدافع عن السنة في وجه الإمام المهدي.
ويظهر للناس على أن الإمام المهدي رافضي يسبّ الصحابة.
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ينشأ نشء يقرأون القُرآن لَا يُجَاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع»
قَالَ ابْن عمر سَمِعت رَسُول الله صلى الله عليه وسلم يَقُول: «كلما خرج قرن قطع» أَكثر من عشْرين مرّة.
حَتَّى يخرج فِي عِرَاضِهِمْ الدَّجَّال» أخرجه ابن ماجه برقم (174).
(قال السندي «فِي عِرَاضِهِمْ» فِي خِدَاعِهِمْ)اهـ، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (74/1)، وصححه الألباني في السلسلة برقم (2455).
نعم، يكونون في صفّ الدجال بسبب مخادعته لهم.
نعم، وهذا يدل على صحة حديث: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَ فِيهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَمَنْ قَاتَلَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَانَ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَ الدَّجَّالِ» أخرجه البزار برقم (2614).

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

المحتويات